

الصابغة

قديمًا وحديثًا

بقلم

السيد عبد الرزاق الحسيني

عقدمة نفيسة من قلم حضرة صاحب السعادة العلامة

أحمد زكي باشا

طبع بنفقه

مكتبة النجاشي

لاصحة ابها اولاد محنت امين النجاشي
بشاع عبد العزيز محمد

صندوق البوستان - مصر ١٩٢٥

الطبعة الاولى

باذن حضرة المؤلف وتصحيحه

سنة ١٣٥٠ هـ سنة ١٩٣١ م

حقوق الطبع محفوظة

كلمة المؤلف

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وبه نستعين

في العراق جماعة من الناس يتراوح عدد نفوسهم بين الخمسة والستة آلاف نسمة يعيشون على ضفاف الأنهر، ويتفردون بعادات وتقاليد لم تألفها بقية الأمم، ويسمون أنفسهم (الصابئة) وقد تكون هذه الجماعة من الصابئة القديمة وقد لا تكون إلا أن الشيء المحقق عندي هو أن قسماً كبيراً من عبادة الصابئة الأقدمين وطقوسهم الدينية بارزة بين معتقدات هذا الفريق من الناس .

والرسالة التي بين يديك أيها القارئ الكريم قد توقفت على كثير من عادات وتقاليد وطقوس و فرق الصابئة قديماً وحديثاً . فان كنت قد أفدت التاريخ بتدوينها ونشرها ، فذلك

حسبي ومن الله التوفيق

الحسيني

بغداد سلخ ربيع الأول سنة ١٣٥٠

مقدمة

بقلم حضرة صاحب السعادة البعثة الكبير والأستاذ الجليل

شيخ العروبة العلامة

أحمد زكي باشا

البراءة في نظري نوعان : براءة الابتكار ، وبراءة الاتقان .

١ — براءة الابتكار، أن يتناول الانسان غرضاً من أغراض العمران، أو عرضاً من أعراض الحياة ، فيتولاه بالتفكير الطويل ويعالجه بتكرار النظر العميق ، حتى إذا توافرت لديه الوسائل وتهيأت أمامه الأسباب ، أبرز للناس خلاصة بحثه الناضج ، فإذا هي حلية للابصار ، وجوهرة للعقول ، وممتعة للناس . هذه البراءة مقصورة على أفراد معدودين ، يبعثهم الله من حين إلى حين ، وفي جيل دون جيل . وهم قليل بل أقل من القليل . ولكن ثمرات أعمالهم تنتقل بالانسانية كلها من حال إلى أسمى منها ، وترتقى بالحضارة إلى ما هو أرفع وأرفه . وهذه نعمة من نعم الله ، فيها الخير العام وفيها البركة الشاملة .

٢ — أما براءة الاتقان ، فإنها مختلفة المظاهر ، متعددة الأشكال . وسأقف في هذه الكلمة أمام ناحية واحدة من نواحيها الجمة .

تلك هي ناحية التحقيق العلمي الصحيح .

فالبراءة كل البراءة أن يعالج الكاتب موضوعاً مطروحاً أو بحثاً معهوداً ، أو أن يلتمس أثراً مشهوداً أو أمراً معروفاً ، فيدرسه درساً صحيحاً ، ويبحثه بحثاً دقيقاً . ثم يفيض عليه شيئاً من سحر البيان ، ويصيف إليه قبساً من نور العرفان ، مع تزيينه بطريف التحريض ومبتكر التحقيق .

البراعة كل البراعة ، أن يحيد بعد ذلك تديج أطرافه وتوشية حواشيه ، بما ينفخه من روح الحياة فيه ، مما نزل عليه من الإلهام بطريق الرحلة إلى المصادر الأولية ، أو توصل إليه عن طريق المكابدة في الاستقاء من المناهل الأصلية هذه هي البراعة التي امناز بها أعلام العروبة على عهد ازدهارها : في مكة والمدينة ، في صنعاء وزيد ، في البصرة والكوفة ، في بغداد والموصل ، في دمشق وحلب ، في القدس وطبرية ، في الفسطاط والقاهرة ، في برقة وطرابلس ، في المهديّة والقيروان ، في وهران وتلمسان ، في فاس ومراكش ، في شنقيط وتندسكت^(١) ، ثم في قرطبة وغرناطة ، وغيرهما من أمصار الفردوس الاسلامي المفقود ، وأخوه الذي هو على شفا جرف هار .

هذه هي البراعة التي آتحت أثرها (إلا نزرأ يسيراً تحت الاطلاع) فقد درست تلك بالاعلام .

هذه هي البراعة التي خبا نورها (إلا حمراً صائلاً بين الرماد) فقد انطأ ذلك المصباح .

بشدها هنا وهنا ، ولا نحد لها غير ثمالة زهيدة عندنا ، مرهود فيها عند غيرنا . أما نفحاتها الحقة ، وأما مطاهرها النافعة ، فقد ودعت بلادنا من زمان بعيد ، ثم طاب لها القرار في ديار الفرج ، لأهم أكرموا منواها ، ولا يرالون يبالعون في الحفاوة بها .

(١) عاصمة الصحراء في أفريقيا . وهي التي مسح الجهلة المتهرجون اسمها مابمة للأفرينج في قولهم Tombouctou فقالوا « تمبكتو » والصواب ما قلت « تبكت » (بضم فسكون فضمين بينهما سكون) . فافهم واحفظ . لأن الأفرينج رسموا اللفظ حسب النطق به . ولكن المتهرجين ميسخوه بالاختذ عنهم . دون الرجوع الى أهل العلم أو أهل الدار .

حقاً، إنهم أخذوا عن أجدادنا في الأندلس والمغرب ومصر والشام والعراق والجزيرة المقدسة وما إلى وراء ذلك حتى مطلع الشمس . بيد أنهم واصلوا البحث والدرس حتى وصلوا إلى تسخير العناصر لخدمتهم وإلى ابتكار الصنائع واختراع البدائع التي يصح وصفها بأنها مما « لا عين رأت ولا أدن سمعت ولا خطر على قلب بشر » .

هم يتوافدون من كل فج عميق على أقطار العروبة من أقصاها إلى أقصاها، فيبحثون عما جهلنا من آثار أجدادنا الأولين .

هم ينقبون عن مفاخر أقوانا في كل فن ومطلب ، فيعيدونها إلى الحياة ، ونحن نيام نيام ، ولا أقول غير ذلك .

على أننا نحمد الله ، قد بدأنا بأخذ عنهم ، ثم أنشأنا بنسج على منوالهم ، فدخلنا طور التجربة وسيتبعه طور الانتقال ، فنكون جديرين بالأجداد .

٣ — بدأت بشائر هذه النهضة في مصر ، فحاوتها الشامات . ثم جاء الدور لبغداد . وهو آت بلا شك إلى الجزيرة المقدسة .

وطالما تغنيت بما حدث في مصر والشام ، وطالما تمنيت أن أترجم بغيرهما من بقاع العروبة وإنني لسعيد بالتحدث في هذه الكلمة عن العراق .

٤ — ففي بغداد نهضة مباركة ، وفي كل أنحاء العراق شعب طموح وثاب . وها هي آثار العمران تعود قليلا قليلا إلى مهد العمران . وها هي شذبية الفرات تستقي من « النيل » ومن « السين » و « التاميز » ثم تعود إلى الرافدين لنشر العلم ولأحياء الصناعة في « ما بين النهرين » .

والذي تنأى لي عن ثقات الأصدقاء الصادقين، أن الحركة الاقتصادية والصناعية في ديار العباسيين ، بين الوطنيين ، وفي دائرة الوطنيين ، ولمصلحة الوطنيين، هي أوسع نطاقا وأغزر مادة وأكثر رواجاً مما هو حاصل في وادي

النيل . وهذا شئ . محمود تقابله بالاغتباط مع الارتياح .
ولقد رأيت سادتهم وقادتهم في الشتاء الماضي بأرض مصر ، وهم (مثل طلبتهم هنا) متشحون بـ ٤٠ لابس كلها من نسيج بلادهم . وهم بها فخورون .
أما الصحافة ، وهي عنوان النهضة ، ومرآة الأمة ، ورسول الوطنية ، فأنني أرى فيها كل يوم بشارة جديدة تبعث الأمل وتقيمه على دعائم راسخة .
وأما الجو العلمي ، فقد كان إلى عهد قريب في خمول وخمود .
ولكن السحائب السود ، بدأت تتبدد عنه ، فانبثق مجال ضئيل للنور .
وعن قريب يتم له الاشراف على كل آفاق العراق . فيعود لبغداد عصر بني العباس في ثوب عصري قشيب .

٥ — من آثار تلك البراعة التي تحدثت عنها في العراقين ؛ ومن مظاهر هذا النور الذي ترمقه فوق الرافدين ، هذا الكتاب الصغير . هذا الكتاب الذي توفر مؤلفه البارع على درس الصابئة أو القوم الأتلي يسمون أنفسهم بالصابئة في بطائح البصرة وفي سهول الموصل . وقد أجاد فيه واستوفى شروط البراعة التي أشرت إليها في صدر هذه الكلمة .

وأنت ، إذا قرأته مثلي ، رأيت فيه دليل البراعة التي حدثتك عنها .
وأنا أتنبأ لصاحبه بأن كتابه هذا سيتناوله المستشرقون بالترجمة إلى الألمانية وإلى كثير من اللغات الأخرى ، وأنه سيكون مصدراً من مصادر أبحاثهم ، ومرجعاً يرجعون إليه ، ومنه لا يستقون منه . وجسبه ذلك فخاراً

أحمد زكي باشا

ولمثل هذا فليعمل العاملون

عن دار العروبة } ربيع الثاني سنة ١٣٥٠
أغسطس سنة ١٩٣١

الصائبة قديما وحديثا

توطئة

نظرة واحدة الى تطورات الفكر البشري في مختلف عصوره،
تدل الباحث على الاتجاهات الفكرية الغربية، والى تعدد النظرات
في فهم هذا الكون وتفهمه .

ومهما حاول الانسان أن يعتمد في تفكيره عن المعتقد وأن
يجعل النظر خالصاً من شائبة الايمان ؛ فانه لا يستطيع الى ذلك
سبيلاً . فالبحث في المعتقدات انما هو بحث في طوابع التفكير
ومناهج النظر البشري . الا ان فائدة هذا البحث لا تقتصر على
دراسة تاريخ المعتقدات والمذاهب فحسب ، انما ترينا كيف شرع
الانسان الأول يفكر في نفسه وفي خالقه وفي الولاية بينه وبين
هذه القوة المدبرة وتوقفنا من جهة ثانية على قيمة ما يظهر من
النظريات في عصرنا الحاضر وما نراه مستحدثاً وطريفاً في آراء
البشر ومعتقداته .

و ضرورى أن يعود الانسان الى تاريخ التفكير والمعتقد
ليطلع من ورائه على غرائز البشر العامة وعلى ميوله وتأثيره
بالظروف والأحوال . فكل وجودات الانسان فكرية كانت

أومادية مرتبطة تمام الارتباط ومستند بعضها الى بعض . وقد تكون هذه التفكيرات والمعتقدات عند التحليل والتحخيص ذات أصل واحد تشعبت منه ووطّرت الانسان وتطورت معه ولكنها أصبحت بمرور الأزمان مختلفة تمام الاختلاف ومتباينة تباين سلائل الانسان الحاضر .

وكل ما يأتي به الباحث في مواضيع غامضة كهذه ، هو أن يدل المتتبع على أصلها الذي نشأت منه ، ويلوِّح الى العوامل والمؤثرات التي عملت على تعريفه ، والصابئة من بين الأديان القديمة التي تستحق أن توضع موضع البحث الواسع في اللغة العربية ، وتستخلص زبدة الفكر فيها من كتب التاريخ والأديان القديمة ، ويستعان على ذلك بما في كتب المؤلفين العصريين الأجانب من تطورات واجتهادات عسى أن تكون مجملًا طريفًا في تاريخ الصابئة يستعين به قراء العربية في فهم دقائق هذا المذهب الغامض . وقد يضطرنا البحث في دين الصابئة الى التعرّض والنظر في فكرة التوحيد ومذنبها والطرق التي توصل بها البشر الى الاعتقاد بقوة واحدة تدبر هذا الكون وتهيمن عليه .

نظر البشر الى هذا الكون فأبهره ما يحيط به من مظاهر الطبيعة وعجائب الكون . ورأى نفسه موجوداً صغيراً عاجزاً عن رد الطوارئ الكونية ومجابهة العاديات فأكبر العاصفة وارتعدت

فرائضه للصاعقة، ورأى في كل تلك المظاهر قوةً مدركةً وحياة خاصة قاسمها بما له من وجود وإدراك وحياة ورآها مثالا للقوة التي تستحق الانقياد والخضوع ، ومن هنا نشأت فكرة العبادة لمظاهر الكون واستمر البشري يؤله كل ما يخاف منه وما يجهل كنهه ، أو يرى فيه شيئا غريبا حتى تطورت فكرة الدين بتطور البشر وأصبحت المظاهر الطبيعية تنضوي قواها وتستتر صفاتها في قوى محصورة ثم في قوة واحدة .

فبعد أن كان الريح العاصف والصاعقة المخيفة والشمس المبهرة والنار المتأججة وما سواها من مظاهر الطبيعة، آلهة تعبد وأربابا تطلب منها المساعدة والمعونة ، أصبحت تلك القوى التي استترت فيها متمثلة في عدد محصور من الكواكب السيارة وفي قوة تمثلها تلك الكواكب . واستمرت هذه الفكرة وتطورت فأصبح عدد الكواكب يتضاءل وأصبحت تلك الآلهة المتعددة يختفي بعضها ضمن بعض حتى لم يبق إلا إله واحد ، وأصبح الخلاف في صفاته ووجهات النظر إليه بعد أن كان نزاعا وخلافا في شركائه وأقرانه . ولكن بالرغم من هذه التطورات التي تطورهاها البشر في عقيدته ، فإن جذور تلك الاعتقادات لا تزال باقية ولا يزال قسم من البشر يحتفظ بأصول العقائد الأولى وبصفات التفكير القديم كما يوجد الآن قسم من البشر يحتفظ بعبادات وأشكال البشر القديم .

فالصابئة وان أدخلت على معتقداتها بعض التعاليم الحديثة فانها من تلك المعتقدات التي كانت في الدور الأول للتفكير البشرى لأن تأليه الكواكب وعبادة النجوم والنظر اليها كمظاهر ذات أثر وذات إدراك، من المعتقدات التي لم تنشأ الا في العصور الغابرة الا ان في بعض الأقوام خاصية الاحتفاظ بالتقاليد والعادات أو بالآراء والمعتقدات ، وهذا ما نراه في أصول ديانة الصابئة وفي تعاليمهم .

أدوار الديانة الصابئية

١ - الصابئة في الدور الاول

لاشك في أن الديانة التي سادت العالم في الأعصر الأولى كانت هي (الديانة الطبيعية) أى عبادة مظاهر الطبيعة . وكان للاجرام السماوية بين تلك المظاهر المقام الأول والقدح المعلى ، فكان البشر الأول رغم دخوله في دور الحضارة وتأسيسه أصول المدنية ، لا يزال في ديانته يمثل عصر ما قبل التاريخ . فلم تخل حضارة البابليين والمصريين القدماء والفرس وحتى اليونان — على تأخرهم — من تأليه مظاهر الطبيعة وتقديس الاجرام العلوية .

وإذا اعتبرنا أن ديانة الصابئة هي عبادة الكواكب والنجوم فلا شك انها أقدم ديانة عرفها البشر في عصر التاريخ . أما أصول

هذه الديانة فهي الاعتقاد بتعدد القوى المدبرة لهذا الكون وبوجود قوة أعلى تهيم على هذه القوى وتديرها . أما هذه الهياكل التي يقيمونها في الأرض وتلك المظاهر والطقوس التي يأتون بها في فروض عباداتهم، فكلها وسائط تقربهم من تلك الأجرام التي حلت فيها القوة . فشكل الكوكب إذا نقش على خاتم، وهندسة البيت إذا بنى على شكل خاص، والحضور إلى الهيكل أو البيعة في أوقات معينة، والتوجه لدى تلاوة الأسماء وتمجيد الآلهة إلى جهة خاصة، كل هذه مما يقرب الإنسان من مصدر القوة الأعلى .

هذه هي أصول ديانة الصابئة في دورها الأول وقد بقي بعد تطورها طيلة هذه الأعصر شيء من تلك الأصول يوجد في عبادة الصابئة الحاليين من تعظيمهم للكواكب والنجوم ولا سيما الكواكب السيارة السبع . أما النجم القطبي فله مقام ممتاز عندهم فهو القبلة التي يتجه إليها في كل فرض وطقس يقوم به المتدين . وكل الشعائر إذا لم يتوجه بها إلى هذا الكوكب فليست بمقبولة . فالهيكل إذا بنى، وجب جعل بابه مستقبلاً له بحيث يكون الداخل إليه مستقبلاً هذا النجم وبحيث تكون الشعائر التي تؤدي فيه متجه بها إلى جهته تبركا بطاعته وتيمناً بما له من خواص .

وكأن هذه الميزة التي امتاز بها هذا الكوكب إنما جاءت من جهة ثباته وبقائه في موضعه دون أن يغيب عن كبد السماء في كل

ليالى الفصول . ومعلوم ما للمظهر الطبيعي من الأثر — ولا سيما على البشر الأول — فى تكوين العقيدة . ولكون الكواكب الأخرى تغيب عن كبد السماء فى بعض الفصول وتظهر فى الفصول الأخرى فقد جاءت بعد النجم الثابت فى الدرجة . أما الشمس والقمر فانهما وان كانا مستمرين فى الظهور ، إلا أن ما يطرأ عليهما من الانتقال من برج إلى برج ومن النقصان والكمال ومن الخسوف والكسوف ؛ كان يفقدهما صفة الثبات التى امتاز بها الكوكب القطبى .

٢ — الصابئة فى الدور الثانى

يكاد يكون تاريخ ديانة الصابئة تاريخاً عاماً للأديان الأخرى فان السنن التى تمشت عليها هذه الديانة والتطورات التى تطورت بها توجد بارزة فى سنن وتطورات سائر الأديان .

وغريب أن يذهب البعض إلى القول بأن الصابئة انتقلت من دورها الأول إلى دورها الثانى مباشرة ومن دون عملية تطور . ولا يستطيع الباحث المنقب مهما ساعدته المصادر أن يقف على حلقات الانتقال من الدور الأول فى عبادة الأجرام إلى الدور الثانى فى عبادة الأصنام والرموز والأوابد وكل ما يعرفه التاريخ ، إن الصابئة بعد مرور عصور طويلة ؛ أصبحت تبنى الهياكل

وتسميها بأسماء الكواكب وتقيم في وسطها التماثيل وتبنى على المرتفعات العالية الأوابد والرموز .

أما الأسباب التي دعت إلى هذا الانتقال فهي مما تساعد عليه عوامل التطور ويقتضيه تقدم البشر في الحضارة . فالفكر وسائر وجودات الانسان الأخرى تتمشى في سوية واحدة وتتطور على نسق واحد .

وقد فطن (المسمودي) المؤرخ الشهير إلى هذا المعنى فذكر قائلاً : أقام الصابئة على عبادة الأجرام برهة من الزمان وجملة من الأعصار حتى نبههم بعض حكمائهم إلى أن الأفلاك والكواكب أقرب الأجسام المرئية إلى الله تعالى وأنها حية ناطقة وان الملائكة تختلف فيما بينها وبين الله وأن كل ما يحدث في هذا العالم فانما هو على قدر ما تجرى به الكواكب على أمر الله فعظموها وقربوا لها القرايين لتنفعهم فكثروا على ذلك دهرًا طويلاً . فلما رأوا الكواكب تختفي بالنهار وفي بعض أوقات الليل لما يعرض في الجو من السواتر ، أمرهم بعض من كان فيهم من حكمائهم أن يجعلوا لها أصنامًا وتماثيل على صورها وأشكالها فجعلوا لها أصنامًا وتماثيل بعدد الكواكب المشهورة وكل صنف منهم صار يعظم كوكبًا منها ويقرب له نوعًا من القربان خلاف ما للآخر . على أنهم إذا عظموا ما صوروا من الأصنام ، تحركت لهم الأجسام

العلوية السبعة بكل ما يريدون فبنوا لكل صنم بيتاً وهيكلًا مفرداً
وسموا تلك الهياكل بأسماء تلك الكواكب ، اهـ .

أما الرموز فكانت عبادة ترمى إلى إظهار الأجسام العلوية
بأجسام طبيعية سفلية فالنار والماء والهواء مما يرمز به إلى تلك
الكواكب لأنها صادرة منها ومن هنا جاءت عبادة النار واستقل
بها فرع من الصابئة دعى بعد ذلك (بعباد النار أو المجوسية) .

ولا يزال الصابئة الحاليون يقدسون مظاهر الطبيعة ويرون في
النار والشهب والرعد والبرق وسائر الظواهر الجوية رمزاً يعبر عن
إحدى تلك الكواكب ، وقد تخيلوا لتلك الأجرام العلوية أشكالاً
خاصة نحتوا على صورها الأوابد والتماثيل المقامة في الأماكن
المرتفعة فكان لكل نجم صورة ولكل كوكب تمثال خاص يمثله
في أدوار ظهوره وهكذا ظلت الأوابد والتماثيل الخالدة تعبر لنا
عن تفكير البشر الأول في خالقه وتصوره للقوة المدبرة .

٣ - الصابئة في الدور الثالث

بدأ هذا الدور باستقرار ديانة الصابئة ودخولها ضمن الكتب
والأسفار واعتناء الكهنة بدراستها وتدريسها فكانت وكان فيها
مجال واسع للنظر والبحث والفلسفة والتعليل شأن كل ديانة
تستقر وتستمر .

والذي يظهر من تتبع التاريخ ، أن هذا الدور كان دور تعليل

وتحليل لأصول الديانة. وكان لا تقطاع الرهبان إلى الدراسة والعبادة، شأن في إدخال الآراء الفلسفية على تعاليم الدين. أضف إلى ذلك أن العلم والبحث في ظواهر الكون، كان من جملة ما تدرّسه المدرسة الأولى وما تعنى بالبحث عنه فكان لازماً أن يتأثر الدين بالفلسفة وأن تظهر التعليقات النظرية في المعتقدات الدينية ولا سيما وأن الفلسفة في تلك العصور لم تكن في مبادئها علمية بحثة بل كان للدين تأثير عليها فكان مما لا بدّ منه أن تصبح الفلسفة دينية وأن يصبح الدين فلسفة.

فتعاليم الصابئة في هذا الدور تأثرت نوعاً ما بهذا النوع من الفلسفة وكانت الأبحاث فيها تدور عن حقيقة التمثيل والقوة وعن قابلية الكواكب واستعدادها وعن التأثيرات الكونية وعلاقتها بهذه الكواكب وعن خواص الأسماء والحروف وعن مبدأ العالم ومنتهاه.

كل هذه الأشياء كانت مما يبحث عنها. ولكن علما لم تكن علمية بحثة نظراً لبداية البشر في فهم الكون انما كانت كل التعليقات دينية تربط بخالق القوة وبإشأته. فالشكل المربع مثلاً في نظرهم اذا كتب في ساعة معينة من ساعات النهار أو الليل بحروف خاصة لكوكب من الكواكب السيارة، أصبح ذا أثر في الخارج.

أما السبب في هذا الأثر وفي هذه القوة التي ظهرت في المربع فستند في نظرهم الى ما منح الله ذلك الكوكب من قوة التأثير وهكذا كانت تعلن كل أصول الدين وأسراره .

ويمكننا من دراسة تاريخ بعض الأديان أن نعرف الأدوار التي ظهر فيها بعض الأنبياء فزمن الخليل الذي جاء ذكره في القرآن الكريم وطرق استدلاله ومحاججته ، يبين بوضوح أنه جاء في زمن الفلسفة الدينية أى الدور الثالث للديانة الصابئية .

ولم تنج هذه الديانة كغيرها من التأثير بالفلسفة اليونانية التي جاءت بعد ان نضجت الفلسفة وحاولت الاستقلال عن الدين فقد أدخل الصابئون كثيرًا من الآراء الفلسفية اليونانية في تعاليمهم وقد يكون هذا التجدد في نهاية الدور الثالث الذي دعى بعد ذلك بدور الفلسفة .

٤ - الصابئية في الدور الرابع

كان للانقلاب الأخير الذي حدث قبيل المسيح (ع) وما جاء بعده من التطورات الدينية ، أثر يّين في سائر الديانات الأخرى ، وكانت فكرة ظهور مجدد للغاية العامة ، متغلغلة في نفوس أصحاب كل دين . فقد مال الصابئية الى الاعتقاد بأن يوحنا المعمدان هو الرجل المجدد المنتظر فاعتقدوا به وعظموه ولا يزال الصابئية حتى الآن يذكرون له بعض التماثيل ويعتقدون به كني مجدداً .

ومن الخطأ الاعتقاد بأن الصابئة قد انقرضت منذ ظهور المسيح
(ع) وأن المعتقدين بها قد اندمجوا في الديانة النصرانية اذ لا يزال
القسم الكبير من الصابئة الحاليين يعتقدون بأصول المعتقد الأول
الذى يرمى الى تقديس الكواكب وتأليه النجوم .

فرق الصابئة

أهم ما يلزم الباحث عند ما يريد أن يجزئ تقاط مبحث أو
ينظر في أقسام موضوع، هو ان يبعث نظرة اجمالية في ذلك المبحث
أو الموضوع ويكون للقارى فكرة عامة عن منشأ ذلك التجزؤ
والتقسيم .

ومن الصعب جداً أن نتوصل بصورة تاريخية إلى الأزمنة
التي تفرعت فيها الأديان وتجزأت فيها المذاهب ولكن ذلك
لا يمنعنا من الدخول في موضوع الصابئة وأمثالها من الأديان القديمة
الكبرى، ولا يمنعنا أيضاً من البحث عن فرقها التي تفرعت عنها .
ولئن كانت لفظة الصابئة عامة تتناول بحسب مفهومها قسماً
واحداً من المتدينين بهذا الدين، إلا أن البحث التاريخي يدلنا على
فرق متعددة ومذاهب متشعبة تندمج كلها تحت هذا الاسم
ويجمعها جامع هذا المفهوم على ما بينها من اختلاف في العقيدة
والفروع وعلى ما أصابها من تطور في الزمان والمكان .

وقد تطرق العلماء والمحدثون إلى تقسيم الصابئة وبيان الفرق التي نشأت منها وعرفوا كل قسم بما له من معتقد وبما يمتاز به من عبادة وما يقطنه من مكان . إلا أن القسم الأغلب من أولئك الباحثين كان معتمداً في بحثه على غيره وكان ناقلاً مجرداً غير متبحر ولا متوغل . ولعل أحسن من توسع في هذا البحث وبين الفرق الصابئية مستنداً إلى العقل والنقل هو الامام أبو الحسن علي بن محمد المكنى بأبي علي بن سالم التغلبي الفقيه الأصولي الملقب سيف الدين الآمدي المتوفى عام ٦٣١ هـ . فقد ذكر في كتاب خطي له يدعى (كتاب أبكار الأفكار) ان أشهر فرق هذه الملة أربع وهي: —
الفرقة الأولى

أصحاب الروحانيات : وقد يقال ذلك بالرفع أخذاً من الروح وهو جوهر . وقد يقال بالنصب وهو حالة خاصة به . وقد زعم هؤلاء أن أصل وجود العالم يتقدم عن سمات الحدث وهو أجل وأعلى من أن يتوصل إلى جلاله بالعبودية له والخدمة من السفليات وذوات الأنفس المنغمسة في عالم الرذائل والشهوات وانما يتقرب إليه بالمتوسطات بينه وبين السفليات وهي أمور روحانية مقدسة عن المواد الجرمانية (نسبة إلى الجرم) والقوى الجسمية والحركات المكانية والتغيرات الزمانية في جوار رب العالمين . محبولون على تقديسه وتمجيده وتمظيمه دائماً وسرمداً . قالوا وهم آلهتنا وأربابنا

ورسائلنا إلى حاجتنا وبهم يتقرب إلى الله تعالى . وهى المدبرة للكواكب الفلكية والمدبرة لها على التناسب المخصوص حيث يتبعها انفعالات فى العناصر السفلية . وحركات بعضها إلى بعض وانفعال بعضها عن بعض عند الاختلاط والامتزاج المفضى إلى التركيب الموجب لتنوع المركبات إلى أنواع المعادن والنباتات والحيوانات وتصريف موجودات الأعيان من حال إلى حال ومن شأن إلى شأن إلى غير ذلك من الآثار العلوية والسفلية .

وزعموا أن الكواكب الفلكية هى هياكل هذه الروحانيات وان نسبة الروحانيات اليها فى التقدير لها والتدوير ، نسبة الأنفس الانسانية إلى أبدانها وان لكل روحانى هيكلًا يخصه ولكل هيكل فلكًا يكون فيه . وزعموا ان المعروف لهم (غارميون وهرمس) اللذان هما أصل علم الهيئة وصناعة النجامة . وهرمس هو أول من قسم البروج ووضع أسماءها وأسماء الكواكب السيارة ورتبها فى بيوتها وبين الشرف والوبال والأوج والحضيض والمناظر والتثليث والتسدیس والتربيع والمقابلة والمقارنة والرجوع والاستقامة والميل والتعديل . واستقل باستخراج أكثر الكواكب وأحوالها . و قيل ان غارميون هو شيت وهرمس هو ادريس (ع)

الفرقة الثانية

أصحاب الهياكل : فانهم قالوا إذا كان لا بد للإنسان من متوسط

فلا بدّ من أن يكون ذلك المتوسط كما نشاهده ونراه حتى نتقرب إليه . والروحانيات ليست كذلك فلا بدّ من متوسط بينها وبين الانسان . وأقرب ما إليها هيّا كلها فهي الآلهة والأرباب المعبودة والله تعالى رب الأرباب وإليه التوسل والتقرب . فان التقرب إليها ، تقرب إلى الروحانيات التي هي كالأرواح بالنسبة إليها . ولا جرم انهم دعوا إلى عبادة الكواكب السبعة السيارة ثم أخذوا في تعريفها وتعريف أحوالها بالنسبة إلى طبائعها وبيوتها ومنازلها ومطالعها ومغاربها واتصالاتها ونسبتها إلى الأماكن والأزمان والليالي والساعات وما دونها إلى غير ذلك . ثم تقربوا إلى كل هيكل وسألوه بما يناسبه من الدعوات فيما يناسبه من الأماكن والأزمان واللباس الخاص به والتختم بالخاتم المطبوع على صورته . والهياكل عندهم أحياء ناطقة بحياة الروحانيات التي هي أرواحها ومتصرفة فيها . ومنهم من جعل هيكل الشمس رب الهياكل والأرباب . وهذه الهياكل هي المدبرة لكل ما في عالم الكون والفساد على ما سلف ذكره في تعريف مذهب الفريق الأول . وربما احتجوا على وجود هذه المدبرات وانها أحياء ناطقة بأن حدوث الحوادث اما أن يكون مستنداً إلى حادث أو قديم ولا جائز أن يكون مستنداً إلى حادث إذ الكلام فيه كالكلام في الأول والتسلسل والدور محالان فلم يبق إلا أن يكون مستنداً

إلى ماهو في نفسه قديم وذلك القديم اما أن يكون موجبا بذاته أو بالاختبار . فان كان الأول ، فاما أن يكون كل ما لا بد منه في إيجاد الحوادث متحققا معه ، أو انه متوقف على تجدد . فان كان الأول فيلزم قدم المعلوم والقدم علته وشرطه محال . وان كان الثانى ، فالكلام فى تجدد ذلك الأمر . كالكلام فى الأول وهو تسلسل . فلم يبق الا أن يكون فاعلا مختاراً وليس فى عالم الكون والفساد فاعل قديم مختار إلا الأفلاك والكواكب ولذلك حكموا بكونها أحياء ناطقة .

الفرقة الثالثة

أصحاب الأشخاص : وهؤلاء زعموا انه إذا كان لا بد من متوسط مرئى فالكواكب وان كانت مرئية ، إلا انها قد ترى فى وقت دون وقت لطلوعها وأفولها وظهورها وصفولها نهائياً فدعت الحاجة إلى وجود أشخاص مشاهدة نصب أعيننا تكون لنا وسيلة إلى الهياكل التى هى وسيلة إلى الروحانيات التى هى وسيلة إلى الله تعالى . فاتخذوا ذلك أصناماً وصورة على صور الهياكل السبعة . كل صنم من جسم مشارك فى طبيعته لطبيعة ذلك الكوكب ودعوه وسألوه بما يناسب ذلك الكوكب فى الوقت والمكان واللبس والتختم بما يناسبه والتعيز المناسب له على حسب ما يفعله أرباب الهياكل إلا أنها هى المعبودة على الحقيقة . وهذا هو الأشبه بسبب اتخاذ الأصنام .

ويحتمل أن يكون اتخذ الأصنام بالنسبة إلى غير هذه الفرقة وتعظيمها لاتخاذها قبلة لعبادتهم أو لأنها على صورة بعض من كان يعتقد فيه النبوة والولاية تعظيماً له . أو لأن قدماء أرباب الهياكل والأصنام وعلمائهم ، ركبوا فراغ طلاسهم ووضعوها فيها وأمرهم بتعظيمها لتبقى محفوظة بها . وإلا فاعتقاد الألوهية فيما اتخذوه صوراً من الأخشاب والأحجار وكونه خالقاً لمن صورّه ومبدعاً لما وجوده قبل وجوده من العالم العلوى والسفلى ، مما لا يستجيزه عقل عاقل . بل البداهة شاهدة برّدّه وإبطاله وان وقع ذلك معتقداً لبعض الرقاع (كذا) ومن لا خلاق له من العوام منهم ، فلا يلتفت إليه ولا معول عليه .

الفرقة الرابعة

الحلولية . (وقد سماها ابن بطوطه وغيره من ثقات المؤرخين بالحرانية وهو الأصح عندنا) وهوؤلاء زعموا ان الآله المعبود واحد فى ذاته وانه أبدع أجرام الأفلاك وما فيها من الكواكب وجعل الكواكب مدبرة لما فى العالم السفلى فالكواكب آباء أحياء ناطقة والعناصر أمهات وما تؤديه الآباء إلى الأمهات ، تقبلها بأرجامها فتحمل من ذلك المواليد وهى المركبات والآله تعالى يظهر فى الكواكب السبعة ويتشخص بأشخاصها من غير تعدد فى ذاته وقد يظهر أيضاً فى الأشخاص الأرضية الخيرة الفاضلة وهى ما كان

من المواليد وقد يتركب من صفو العناصر دون كدرها واختص بالمزاج القابل لظهور الرب تعالى فيه ، إما بذاته وإما بصفة من صفات ذاته على قدر استعداد مزاج ذلك الشخص . وزعموا ان الله يتعالى عن خلق الشرور والقبائح والأشياء الخسيسة الدنيئة كالحشرات الأرضية ونحوها بل هي واقعة ضرورة اتصالات الكواكب سعادة ونحوسة واجتماعات العناصر صفوة وكدورة . وزعموا أيضاً أنه على رأس ستة وثلاثين ألف سنة وأربعمائة وخمسة وعشرين سنة يحدث روحاني على رأس الدور الآخر وكذا إلى مايتناهى ، وان الثواب والعقاب على أفعال الخير والشر كل دور واقع لكن في الدور الذى بعده في هذه الدار لا في غيرها .

الفرق بين فرق الصابئة

لعلّ التقسيم الذى ذكرناه للآمدى كان فيما يخص الصابئة على الأطلاق وفي مختلف عصورها . أما بحثنا الآن في التفريق بين فرقها ، فانما يعنى الصابئة الموجودة الآن والتي نوّه عنها الأقدمون وذكرها القرآن الكريم .

ومن المتعذر جداً أن يتوفق الباحث إلى معرفة ما بين هذه الفرق من الرابطة . فقد ذكر القرآن الكريم قسماً من الصابئة

وفسرها المفسرون بعد أن نسبوا لها أصولاً وتقاليد تختلف كثيراً عن الصابئة الحرائية التي سيجيُّ البحث عنها . كما أن هذين القسمين من الصابئة يختلفان كثيراً عن صابئة البطائح المبثوثين الآن في مدن العراق النهرية . والحق أن كل فرقة من هذه الفرق تختلف في أصول معتقداتها عن الأخرى إختلافاً واسعاً . فقد سكن الصابئة الذين ورد ذكرهم في القرآن ، بلاد العرب ومصر قبل الاسلام وقبل النصرانية واليهودية، وقد انقرضوا وعفت أخبارهم فأصبح من المتعذر علينا بيان معتقدهم بالتفصيل . ولهذا فسيقتصر بحثنا على القسمين الأخيرين من الصابئة ، أي الحرائيين وصابئة البطائح مع العلم بأن كلا من هذين القسمين قد أخذ الشيء الكثير ممن تقدمه من الصابئة الذين ذكرهم القرآن المبين ومع العلم بأن الجميع قد عبدوا الكواكب وألَّهُوا النجوم .

الصابئة الحرائية

جاء في ص ٣٢٠ من الفهرست لابن النديم أبي الفرج محمد بن اسحق بن محمد بن اسحق الوراق البغدادي المتوفى عام ٣٨٥ هـ (طبعة أوربا) ماملخصه : —

قال أبو يوسف ايشاع القطيعي النصراني في كتابه في الكشف عن مذاهب الحرائيين المعروفين في عصرنا بالصابئة : إن الخليفة العباسي المأمون اجتاز في آخر أيامه بديار مضر (قرب ذيار بكر) قاصداً غزو الروم فتلقيه الناس يدعون وكان بينهم جماعة من الحرائيين

وكان زيّهم إذ ذاك لبس الأُقيّة وشعورهم طويلة جداً ، فأنكر المأمون عليهم زيّهم وسألهم قائلاً من أنتم ؟ فقالوا نحن الحرّانية . فقال أنصاري أنتم ؟ قالوا لا . قال أفيهود أنتم ؟ قالوا لا . قال فمجوس أنتم ؟ قالوا لا . فغضب المأمون وقال أفلكم كتاب أم نبي ؟ فجمعوا في القول . فقال لهم فأنتم إذا الزنادقة عبدة الأوثان وأصحاب الرأس في أيام والدي الرشيد وأنتم حلال دماؤكم ولا ذمة لكم . فقالوا نحن تؤدّي الجزية . فقال المأمون اما تؤخذ الجزية ممن خالف الاسلام من أهل الأديان الذين ورد ذكرهم في القرآن ولستم من هؤلاء فاخترتوا أحد أمرين : إما أن تنتحلوا دين الاسلام ، أو ديناً من الأديان التي ذكرها الله في كتابه ، وإلا قتلتم عن آخركم وقد أمهلتكم حتى عودتي من سفرى . فخاف الحرّانيون على حياتهم وأسلم بعضهم وقص البعض الآخر شعره وصاروا في اضطراب عظيم . ثم راجعوا شيخاً فاضلاً وفقياً كبيراً من فقهاء حرّان وسألوه عن تدبير لهم فقال لهم الشيخ لا تخافوا ولا تضطربوا فاني أوصلكم إلى طريق النجاح . فجمعوا له مالاً كثيراً وصاروا يراجعونه في كلّ يوم حتى قال لهم في آخر الأمر (إذا رجع المأمون من حربه وسألكم عن دينكم فقولوا له نحن الصابئون فهذا اسم دين قديم قد ذكره الله في كتابه فانتحلوه وأنكم لناجون) .

واتفق ان المأمون مات في سفره هذا (عام ١٢٨ هـ) وكان

الحرانيون قد انتحلوا هذا الاسم من ذلك الوقت، ولم يكن بحرّان يومئذ قوم يعرفون بالصابئة. ثم رأى المسلمون أن يعقبوا خطة المأمون حتى جعلوا الحراني يتظاهروا بالاسلام وإذا أراد الزوج تزوج بحرانية من طائفته فاذا ولدت له زوجته ذكراً، جعله مسلماً. أما إذا ولدت له أنثى، جعلها حرّانية أى صبية بالمعنى الذى ألعنا إليه وهذه كانت سبيل أهل ترعوز وسامسين الفريتين المشهورتين بالقرب من حران إلى نحو ٢٠ سنة اهـ .

والذى يظهر من أسئلة المأمون لهؤلاء القوم الذين صادفهم فى سفره والذين لم يكن على علم بهم مع ما كان عليه من سعة العلم والاطلاع على مختلف الأديان والملل حيث كان يجتمع فى مجلسه العامي ورؤساء المذاهب والأديان والنحل على اختلافها، أنهم لم يكونوا فى بدء الأمر صابئة وليست لهم علاقة بالصابئة الذين ورد ذكرهم فى القرآن الكريم، وانهم اضطروا إلى أن يستشيروا رؤساءهم وكهنتهم فى الأمر . ولو كانوا من فرق الصابئة لما أشكل عليهم الأمر ولما احتاجوا إلى أن ينتحلوا هذا الاسم انتحالاً .

على اننا نعرف من تاريخ الصابئة الحاليين الذين هم أقرب إلى الصابئة الأقدمين ، أنهم يعيشون على ضفاف الأنهر دجلة والفرات وأن لا أثر لديانة الصابئة فى حرّان ولا معبد لهم مقدس هناك وما شوهد من طقوسهم الدينية وطرز عبادتهم وانتسابهم

إلى الأرض التي يسكنونها دون العبادة التي يعبدونها ، كل ذلك يدلنا على أن الحرائية دين قديم أراد أصحابه البقاء عليه فانتحلوا له اسم الصابئة .

وقد نقلت دائرتا المعارف الانجليزية والافرنسية كلام ابن النديم على علاته ونقله أيضاً كتاب ألماني ضخّم لم يحضرنا اسمه فلم يناقشوه مع ما عرف به الألمانىون وسائر المستشرقين من التمهيص والتدقيق ، فكأنهم اكتفوا بهذا الكلام ولم يفرقوا بين ما ذكره القرآن من الصابئة وبين الصابئة الحرائية !

صابئة البطائح

يعيش بين ظهرانينا فى العراق قسم من الناس لهم تقاليدهم وعاداتهم ولغتهم . ويكادون أن يكونوا ممتازين بكل مظاهر حياتهم وحتى بأشكالهم وسحنة وجوههم ويطاق عليهم اسم (الصابئة) وقد يكون هؤلاء هم الصابئة الأصليون وقد لا يكونون . إلا أن الشيء المحقق هو أن قسماً كبيراً من عبادة الصابئة القديمة وطقوس دينهم ؛ بارزة بين معتقدات وطقوس هؤلاء القوم . فعبادة النجوم واستقبال نجم القطب وتأليه الكواكب وغير ذلك من أصول الدين الصابئ مما يتدين به هذا المجموع الممتاز .

وقد يتعرّف الباحث من اللغة التي يتكلم بها هؤلاء ومن إسبالتهم شعور لحام ورؤوسهم ، أنهم شعب غريب نرح إلى هذه

البلاد واستوطنها واحتفظ بما له من تقاليد وعادات والتزم بالسكنى على ضفاف الأنهر وبقرب المياه الجارية نظراً لما يقيمه من الطقوس التي لا تتم إلا بالارتعاس في الماء الجارى (وسياقى تفصيل ذلك) لذا عرف هذا القسم من الناس بصابئة البطائح نسبة إلى بطائح العراق المشهورة .

أما ان هذا الشعب قد انحدر من الصابئة الحرائية أو أنه من بقية الصابئة الأقدمين ، فأمر مشكوك فيه وموكل إلى فحص التاريخ الدقيق .

ونظن أن أحسن رواية - وقد تكون أقربها إلى الحقيقة - هي التي أثبتها الهنرى يونيون في كتابه الافرنسى الموسوم بـ (الرقم المندائية) المطبوع في عام ١٨٩٨ فقد جاء في ص ٢٢٤ منه تحت عنوان (الفرقة الدستائية) وهي المندائية التي اشتهر بها الصابئة الحاليون مامضمونه: ان صاحبها (أى صاحب هذه الفرقة) كان متسولاً وقد جاء من بلاد ما بين النهرين إلى ميسان (أى جنوبى العراق) للتسول وكان مسيحياً اسمه (دبدا) واسم أمه (أم كسطا) ثم توطن ضفاف نهر قارون وأسس ديانة جديدة وعقائد مأخوذة معظمها من المارقيونيين والمانويين والكنعانيين وغيرها من الفرق الصابئة، ثم توسعت هذه الطائفة على ممر السنين وسموا بالصابئة المغتسلة لأن جميع طقوسهم الدينية لا تتم إلا بالاغتسال في الماء الجارى .

والذى يؤسفنا كثيراً ويجعل تاريخ الصابئة مفصلاً وغير مرتبط الحلقات، خلو هذا التلخيص من الزمن الذى يعين قدوم (دبدا) إلى جنوبى العراق (ميسان) الأمر الذى يوقفنا على تاريخ منشأ صابئة البطائح والصلة بينهم وبين الصابئة الحرائية . ومع ذلك فهو لا يخلو من فائدة تاريخية تكشف لنا عن تاريخ غامض من تاريخ الصابئة .

عقائد الصابئة وطقوسهم

كانت المعلومات المتقدمة مقصورة على التفريق بين الصابئة قديماً وحديثاً وعلى بيان فرقهم ومنشأ ديانتهم من وجهة تاريخية بحتة . أما ما سندخل فيه الآن ، فهو البحث فى عقائدهم وطقوسهم الدينية ، وربما كان فى دراسة العقائد والطقوس على ما هى عليه من التقطع والخلط والخلط ، الشئ الكثير من الفوائد التاريخية . وربما كان تعرف الباحث بوجهة النظر الدينية ، يوصله الى أزمنة التاريخ والى تحديد العصور التى تمر بها الأمم المتدينة بذلك الدين ، وما بأيديهم من المعتقدات انما هو مجموع ما يتدين به صابئة البطائح اليوم .

وقد علمنا أن فى طقوس هؤلاء وآدابهم الدينية الشئ الكثير من ديانة الصابئة الأقدمين ومع ذلك فسنضطر فى بحثنا الى ذكر

الشيء القليل مما توصلنا اليه من عقائد الصابئة الحرائية التي نرى أن هناك فروقا جوهرية تستدعي إفرادها بالذكر وتعيينها من بين مواضيع البحث .

أما مصادر ما سنذكره فتتجصر في التحريات الشخصية والنقل عن ما دبحته أقلام مشاهير الكتاب والمؤلفين والمؤرخين وكله مما تطمئن اليه النفوس اطمئنانا دون أن نعص عليه بضرس اليقين القاطع ، نظراً لما بين تلك المباحث والآراء من التباين العظيم ، وكفى أن يكون ما نكتبه في هذا الموضوع خدمة تاريخية بذلنا فيها الجهد وأفرغنا فيها الوسع فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر .

فكرة الخالق وبدء الخليقة

١ - فكرة الخالق : تعتقد الصابئة بأن الخالق واحد أزلي لا أول لوجوده ولا نهاية له . منزّه عن عالم المادة والطبيعة وهو علة وجود الأشياء ومكونها .

ولا يكاد يختلف اعتقادهم في الخالق عن اعتقاد المسامين فيه الا انهم افترضوا له صورة معنوية خلق آدم على نموذجها كما سيجيء البحث عنه في ذلك .

٢ — بدء الخليقة : كان المخلوق الأول لله ، شخصاً روحانياً

يدعى (هتي قدمايا) أى « الحى القديم » وقد خلقه الله وخلق معه عوالم كثيرة مملوءة بالنفوس المقدسة التى لا تحصى . ثم خلق الحى الثانى (هتي تنيائى) أى « المخلوق الثانى » وخلق معه كذلك عوالم لا تعد مملوءة بالنفوس المقدسة . ثم خلق (هتي تليشائى) أى « المخلوق الثالث » وخلق معه ما خلق مع سابقيه . وهذه النفوس التى تقطن هذه العوالم ، ينقسمون بحسب رتبهم الى قسمين : عوام وملوك . ويقال للقسم الأول (انزى) وللقسم الثانى (ملكى) ثم خلقت عوالم سبعة تدعى (آلمى دهشوخا) أى عوالم الظلام التى تستمد نورها من الشمس وبسكانها الآن ينقسمون الى قسمين : عوام وملوك ، وأرضنا من جملة هذه العوالم السبعة . أما هيئة الأرض فيرونها بشكل مربع وأنها ثابتة غير متحركة ولكن لها حركة خاصة وهى مقامة على هوائين ، هواء خارجى وآخر داخلى ، وتحت الأرض ماء انبسطت عليه . فلما أتم خلق الأرض ، أنزلت الملائكة من عوالم الأنوار ، بذوراً للأشجار وفتحت طريقاً للهواء ولما ، الحياة الذى تقوم عليه حياة الأجسام الحية والنامية وهو واسطة ارتباط العوالم بعضها ببعض ، وفتحت طريقاً آخر للنور تستمد منه الشمس أشعتها لتنير بقية الكواكب بالواسطة .

وتتكون السماء من سبع طبقات تقع الشمس فى الطبقة

الرابعة والقمر في السابعة (وهى فى نظرم الفريية منا) والأرض والسماء مركبان من مادتين هى النار والماء ومن هاتين المادتين تكوّنّت الأرض والسماء . وكذلك جميع الكائنات الحية فانها مركبة من طبقتين الماء والنار ولكنها تمتاز بأربع طبائع أخرى وهى الصفراء والسوداء والبلغم والرطوبة .

ولهم كتاب خاص فى علم تشريح جسم الانسان وتركيبه يدعى (تفسير يفره) وآخر فى جغرافية الأرض وعلم الفلك يدعى (أسفر ملوasha) وبه يستطيع الكاهن أن يلمّ بما يحدث فى الكون من الحوادث والتغيرات (انظر البحث فى كتب الصابئة المقدسة) .

الكون فى نظر الصابئة

ان لنشوء فكرة السرّ والعلن عند الصابئة أثراً فى كثير من المعتقدات . فهم يرون أن لكل كائن وجودين : علنى وسرى ، وللكون أيضاً وجودان كون سرى ويسمونه (مشونى كسطه) وآجر علنى ويدعونه (أره تبيل) - أى الأرض التى تبلى - ويرون دائماً أن للوجود السرى امتيازاً على الوجود العلنى . فالعالم السرى قطر فسيح أكبر من العالم العلنى الذى هو عالمنا المسكون وهو مستور عنا لا يمكننا أن نشاهده حال حياتنا ، وله شرف المنزلة بالنسبة الى عالمنا فهو منه بمنزلة اليمين من الشمال . وهذا الاعتبار

(أى اليمين والشمال) يشاهد فى كثير من تعايرهم التى يقسمون بها الأشياء والموجودات .

أما سكان هذا العالم فهم بشر مثلنا الا أنهم صابئة منزّهون عن كل وصمة . ولا يخلو هذا العالم من الموت والفناء أيضاً فالبشر الذى فيه ، يموت كما نموت نحن الا أنه ينتقل الى عالم آخر يدعونه (آلى دَنهُورُو) - أى عالم الأ نوار أو مقام النعيم - من غير أن يمر بموضع من مواضع العذاب . وهذا ما يقابل عالم الأرواح فى نظر المسلمين .

أما العالم الثانى أى (أره تيبيل) فهو عالم الكون المادى المشاهد الذى يطرأ عليه الفناء وينتقل من فيه الى عالم الأ نوار بحسب درجته .

ولما كان الوجود السرى مثالا للوجود العانى ، كان فى العالم السرى آدم مخصوص يدعى (كاسيا) - أى آدم المستور - وتدعى زوجته (كانات) - أى تامة الجمال - كما أن لعالمنا هذا آدم يدعى (آدم پنه) - أى آدم المادى - وتسمى زوجته حواء . ولاجل أن يتخلص الصابئة من قضية التزاوج بين الاخوة فى بدء الخليقة ، اضطروا الى القول بأن لكل من هذين الآدميين ابنة وولد فجمع بينهما (هيوه زيوه) - أى جبرائيل - فى العالم المنظور وزوج كلا من الولدين بأخت الآخر ليتم التناسل البشرى

على طريقة مشروعة : فالعامة من الصابئة تدعى وفقاً لهذه الاسطورة، انهم من أولاد آدم غير المنظور . أما علماء الدين فيرون خلاف ذلك لأنهم يستبعدون خروج الأشياء المنظورة المشاهدة في عالم غير منظور ومشاهد .

خلقة آدم

(كوره قدمايه) اسم لآدم (ع) أى أول الرجال أو (آدم بغره) وقد أراد الله أن يخلق آدم على صورته فانزل (ابتاهيل) وهو ابن (هيوه زيويه) أى جبرائيل الى الأرض فخلقه على صورة من التراب وخلق من ضلعه الأيسر زوجته (حواء) ثم أنزل الروح المقدسة فى جسم آدم وزوجته، وعلم الملائكة آدم كل ما فى الدنيا من صنائع وحرف ومهن وإجراء المياه ووضع عدد السنين والأشهر والأيام والأوقات وغير ذلك ، وأنزلت عليه الكتب المقدسة التى فيها فروض العبادة بأنواعها المختلفة . ثم أمر الله ملائكة النار بالسجود لآدم فسجدوا الا (هاديشه) وهو إبليس فانه لم يسجد إذ قال خلقتنى الله من نار وخلق آدم من تراب فكيف أسجد له ؟ فطرده الله ولعنه . ثم جرى التناسل بين آدم وولده على نحو ما فصلناه فى بحثنا عن (الكون فى نظر الصابئة) ووضعوا للعالم تاريخاً قدره ٣٠٩٨٧٣ سنوات أسندوه الى أساطير لا يقرها عقل ولا يقبل بها منطق .

فكرة الخير والشر

فكرة الخير والشر من الفكر التي بحث فيها البشر بحثًا مستفيضًا في الأزمنة القديمة والحديثة. ولا تزال الآثار المستخرجة من بطون الأرض، ترينا تطوّر هذه الفكرة واختلاف نظر البشر إليها. إلا أن هذه الاختلافات والتطورات تنحصر في وجهات ثلاث. أحدها تقول بأن الله تعالى مصدر للخير والشر كما أنه خالق لهما وما العبد إلا آلة تصرفها الإرادة في الكفاية لا حول له ولا قوة ولا اختيار وهذا مادعاه المسلمون بفكرة الجبر.

والثانية ترى أن فاعل الخير والشر هو الإنسان وأن الله مكوّن كل الأشياء والعبد يملك إرادة حرة واختياراً مطلقاً.

أما الثالثة فتفصل وترى أن الخير من الله والشر من الإنسان وللإنسان عقل يميز بينهما فله أن يعمل الخير وله أن يرتكب الشر. والصابئة ترى رأي الفريق الثاني أي أن الخير والشر موجودان من قبل الإنسان ويحدثان بفعله وإن إرادته الحرة واختياره المطلق هو الذي يجعله مسؤولاً أمام الله. وهم يرون أن الله قد بين للإنسان طريق الخير وطريق الشر فله الحرية المطلقة في إتيان ما شاء وترك ما يشاء.

الموت في نظر الصابئة

يعتقد الصابئة أن الموت انتقال لا فناء واندثار. فالروح بعد

أن تخرج من هذا العالم، لا تفنى ولا تنعدم وإنما تنتقل من عالم إلى آخر فتصل بعالم الأنوار (آلى ذهورو) ان كانت طيبة وتبقى حية مخلدة في ذلك العالم متنعمة بأنواع الملذات . وتنتقل الى أنواع العذاب ان كانت خبيثة . وربما كان تعذيب هذه الروح بالباسها شكلا آخر واظهارها في جسم من الأجسام الذى يكون وجودها فيه عذابا وشقاء . فالعذاب في نظرهم مهما كان نوعه ، إنما هو تطهير للروح من أدران الذنوب وهذا ما جعل لفكرة التناسخ عندهم أصلا .

أما المراسم التى تجرى للجنائز ، فتقام قبل خروج الروح من البدن . لأنهم يعتقدون بأن الروح لا تطهر اذا لم تخرج من بدن طاهر ولهذا وجب عندهم تغسيل الميت وتكفينه ساعة احتضاره لتخرج الروح من جسده وهو طاهر^(١) . فاذا مات نجس وحرّم مسه وأصبح من المتعذر تطهيره

(١) نادرة طريفة أقصاها على القارىء الكريم :

كنت في عام ١٩٢٢ طالبا في دار المعلمين ببغداد وكان في الدار المذكور شاب صابئى يدعى « مسلم ضمد » من أهالى الناصرية . أصيب في خريف ذلك العام بمرض الزائدة الدودية فأجريت له عملية مستعجلة ظن أهله أنها ستؤدى حتما إلى وفاته . وبعد مضي خمسة أيام على العملية ، طلبت أمه إلى السلطة الصحية أن تسمح لها بأخذ ولدها لتطبيق المراسم الدينية له قبل أن تزحق روحه فيموت كافرا فلم تر السلطة مانعا فسمحت لها بأخذ المريض المحتضر ولكن ماذا عملت به أمه ؟ ؟

ويجرى مراسم نقل الميت ودفنه على وجه مخصوص فيحمل الجثة أربعة أشخاص من درجة (حلالى) وهم رجال مقدسون يلبسون لباساً خاصاً بنقل الأموات. أما شكل هذا اللباس فيكون أبيضاً ويشد الوسط بمنطقة من صوف ، فيتقدمون بالميت الى مرقده الأخير بين الصمت والخشوع لأن البكاء والعويل محرمان على الميت وهم يعتقدون بأن كل دمة تذرفها العين على الفقيد، تكون نهراً كبيراً فى طريق نفسه تكاد تعجز عن قطعه . أما القبر فيكون بشكل مستطيل ويحفر عند رأس الميت حفرة صغيرة ضيقة يدخل فيها الميت الى صدره ويكون وجهه ورجلاه متجهتان نحو الجدى ، ثم تصف الأحجار من صدره الى رجليه ثم تنهال الأتربة عليه

ولهم اسطورة يتناقلونها فى سبب وضع الحجارة على كفن

هذا سؤال غريب ، وأغرب منه جوابه !

أخذت الوالدة ولدها الى شاطئ الماء (دجلة) ورفعت الا ربطة التى ضمدت بها جروح ولدها ثم بدأت تصب الماء البارد الجارى على القروح وهى داملة والولد يصيح ويستغيث فلم يجد مشفقاً عليه . وهكذا غسلوه وكفنوه وربطوه بالقصب فى انتظار زهوق روحه . وجاء أحد أساتذتنا فى المدرسة بعد أربع ساعات فوضع (آلة الترمومتر) على جلد الصبي من بين القصب ولاحظ أن درجة الحرارة آخذة بالتحسن فأخبر الأطباء بذلك فبادروا لتضميد جروح « مسلم ضمدك » من جديد وكانت النتيجة انه شفى بعد أيام قليلة واجتاز امتحان الدراسة فى تلك السنة بنجاح باهر فتأمل

الميت مباشرة. وهى أن كثيراً من آبائهم القدماء قد نبشوا قبور موتاهم فوجدوا أن أ كفانهم قد اجتمعت فى أفواههم وكان ذلك سبباً لموت أهل الميت من بعده بسرعة. فلأجل أن لا يسرع الموت الى أهل الميت ، توضع هذه الأحجار على صدره. أما وضع التراب عليه مباشرة فهى سيرة عمل بها (مندانى) لما انهال التراب على جسد يحيى (ع)

ومتى عاد المشيعون من مراسم الدفن ، أقاموا مأتما لروح الفقيد فى أربعة أيام متفرقة وهى اليوم الأول للوفاة والثالث والسابع والـ ٣٥ منه ، وعلى زوجة الفقيد أن لا تقص شعرها حداً على زوجها ، لأنها ترتكب بذلك ذنباً لا يغتفر . ومن مات فجأة يتقدم أحد علمائهم من درجة (كـنزوره) فيقوم بمراسم التكفير والتعميد لأن الموت فجأة يسبب اعتبار الميت كافراً كما لو كان قد مات بلا مراسم الجناز .

ما بعد الموت

فاذا مات الميت ، استقبل روحه ملكان يدعى أحدهما (صاوريل نشرويه) ويسمى الثانى (قامير زيوره) وهما نقلة الأرواح فيحاسباه على عمله فى دنياه حسناً كان أم سيئاً . فان كان من أصحاب الأعمال الحسنى فان روحه تذهب إلى عالم الأنوار (آلى دنهورو) من أقرب طريق تقطع فيه العوالم السبع فى خمسة

وأربعين يوماً وتنتهى إلى الميزان الذى تشاهد نجاته فى السماء ولكن فى عالم الأنوار فتوزن فيه الروح ثم يسمح لها بالدخول فى عالم الأنوار .

وأول روح وزنت فى هذا الميزان فى اعتقادهم ، هى روح شيت بن آدم (ع) الذى مات قبل أبيه لأن الله تعالى طلب إلى آدم أن يلبي دعوته فأبى وكان عمره إذ ذاك ألف سنة ، وطلب أن يعيش ألف سنة أخرى . أما عمر ابنه شيت فقد كان ٨٠ سنة ولم يكن ليتزوج وبذلك أصبح عمر البشر غير محدود . فيموت الطفل الصغير والشاب غير المتزوج على ما هو جار عندنا اليوم . ولو كان آدم قبل أن يموت عند ما طلب إليه الرب ذلك ، لأصبح للبشر عمراً واحداً ينتهى إليه فيموت . أما إذا كانت الروح خبيثة فتبقى فى العذاب حسب ما تستحق .

وأنواع العذاب عندهم لا تقتصر على الإدخال فى النار فحسب ، بل هى تختلف أشكالها فتكون بالحبس فى محل لا هواء فيه ، أو بضبطها بين جبلين ، أو بتعذيبها فى النار . فإذا خلصت من الذنوب وقطعت العوالم السبعة فى مدة تتناسب مع عذابها ، وصلت إلى الميزان فتوزن فيه كسابقتها .

المعاد

المعاد هو الحياة الآخرة التي تحيي بها النفس في عالم الأنوار « آلمى دنهورو » وتتنعم بما يتنعم به القدّيسون والروحانيون هناك والناس كلهم صائرّون إلى هذا العالم رأساً أو بعد تطهيرهم من خطاياهم بالعذاب المتناسب . أما هذه الأرض التي نسكنها فتعود بعد أن تنقضي وتندثر هي وعوالم الظلمة التي تستمد نورها من الشمس .

ويختلف المعاد عند الصابئة عنه عند المسلمين بأن الأولين يرون أن المجازات والمعقوبات تجري في عالم قبل عالم الآخرة . أما عند المسلمين فانهم يرون أن العقاب والثواب يكونان في عالم الآخرة أيضاً كما هو في عالم البرزخ المتوسط .

الصوم عند الصابئة

لم تخل الشرائع القديمة من ذكر الصوم وفرضه ومن تعيينه بمدة معلومة . ففي آثار البابليين والمصريين القدماء ، وفي الحفريات الكلدانية ، ما يؤيد أن الصوم عبادة عرفها البشر منذ القدم . وقد جاء الاسلام مؤيداً فرض هذه الفريضة فقال الله تعالى في محكم كتابه المجيد (يا أيها الذين آمنوا كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم) .

أما شريعة الصابئين ، فنظراً لقدمها وانقطاع القائمين بها عن

دراسة العلوم والفنون، تكاد تذهب فيها بعض الطقوس، أو تتغير،
فبينما نجد ابن النديم المؤرخ يذكر لنا فرض الصوم عند الحرانية
من الصابئين حيث يقول عليهم — ص ٤٤٣ من الفهرست —
(والمفترض عليهم من الصيام ثلاثون يوماً أولها لثمان مضين من
اجتماع آذار وتسعة آخر أولها لتسع بقين من اجتماع كانون الأول
وسبعة أيام آخر أولها لثمان مضين من شباط وهى أعظمها . ولهم
تنفل من صيامهم وهى ستة عشر وسبعة وعشرون يوماً) ، إذ نجد
الصابئة الحاليين يحرمون الصيام فى طقوسهم الدينية ويرون انه
من باب تحريم ما أحله الله وان كانوا يتظاهرون به فى أول رمضان
مجاراة لمجاوريهم من المسلمين كما كان يفعل أبو اسحق الصابئى مع
الشرىف الرضى . ونجدهم أيضاً يمتنعون عن أكل اللحوم ٣٦ يوماً
على نحو ما هو عند النصارى . وكل هذه المتناقضات فى عقائدهم
إنما جاءت اليهم من تفرقهم ومن جهل علمائهم بما يحدث فى الفنون
وما يصل اليه البشر من الاكتشافات والعلوم .

الصلاة عندهم

الصلاة عند المتدينين، رمز الخضوع والالتقياد لآراء الشريعة.
فالمصلى يؤدى بحركاته وأعماله، فروضاً اعتقادية تدل عليها تلك
الحركات والأعمال . وإذا كان الصوم قديماً وموجوداً فى شرائع
الأمم البائدة ، فان الصلاة أقدم منه بكثير . فقد صلى البشر القديم

وانحنى أمام مظاهر الطبيعة حينما أرهبته وأخافته وهو لا يزال حتى الآن ينحنى تعظيماً واجلالاً أمام ما يتصوره من القوى في هذا الكون .

وقد تكون الصابئة من أشد الأمم محافظة على طقوسهم وعاداتهم. لذلك لا نستبعد أن تكون صلاتهم هي أول وضع عرفه البشر للصلاة وفي تأدية فروض العبادة .

أما هذه الأوقات التي خصصوها لتأدية الصلاة فهي تدلنا بوضوح إلى عبادة البشر الأولى التي كان يقدس بها مظاهر الطبيعة. وتشتمل إقامة هذه الصلاة على مراسم وطقوس أضيفت عليها على توالي الأزمان تبدأ بالطهارة والاغتسال وتنتهى بتأدية الصلاة وإليك البيان : —

١ — الطهارة : لا تصح الصلاة عند الصابئة بدون طهارة شأنها عند بقية الأمم المتمدينة . وكما تمنع الجنابة من إتيان الصلاة ومن تأدية الفروض الدينية عندنا معاشر المسلمين ، كذلك تمنع عندهم من تأدية الصلاة . أما غسل الجنابة فمشرط عندهم أن يكون بالماء الحي ، وهو الماء غير المقطوع من مجراه الطبيعي فاء الحمام مثلاً في نظرهم ، ليس يحى لا تقطاعه عن مجراه . أما كيفية الغسل فهي عبارة عن الارتماس في الماء الحي من دون تلاوة أى شيء ، ولكن الغسل وحده لا يكفي عندهم فلا بد من ضم الوضوء

اليه وهو يجرى عقب الغسل بأوضاع خاصة .

٢ - الوضوء : يجلس المتوضي على صفة النهر ويتلو الرخصة

(النية) بلغتهم المندائية ثم يغسل يديه حتى المرفقين ويعقبها بغسل وجهه ثم عورته ثم ركبتيه وكل ذلك ثلاثاً . ثم يمسح جبينه وأذنيه وأنفه ويتلو في كل ذلك أدعية وتلاوات خاصة . ثم يدخل رجله اليمنى في الماء ثم اليسرى ويتلو خلال ذلك هذا الدعاء (بشميهون أو هي بولي أسوتا وزكوتا نهويلك يا أب ابو هن ملكا ميريا ويس بردنا ربا آدميا هي) ومعناه (السلام عليك أيها الماء الجاري من تحت عرش الرب الذي يحيي بك كل من في الأرض) .

أما مفسدات الوضوء فهي ؛ عبارة عن رفع الأنف ، أو خروج الدم من الفم أو لمس لحم أجنبي أو خروج ريح . كل هذه تفسد الطهارة وتوجب اعادة الوضوء واجب لكل صلاة .

٣ - الصلوة : أما صلاتهم فانها تقتصر على الوقوف والركوع

والجلوس على الأرض بلا سجود وتستغرق تلاوة الأذكار فيها ساعة وربع ساعة وتؤدي ثلاث مرات في اليوم الواحد قبيل طلوع الشمس وعند زوالها وقبيل غروبها .

وتبدأ الصلاة بالأذان وهو عبارة عن أذكار مندائية تتلى

بين الحاضرين بدون رفع صوت أو وقوف على محل شاهق كما يفعل المسلمون . ويتوجه المصلي عندهم الى جهة الجدى

رافعاً يديه وقليلًا من رأسه مع انحناء قليل بلباس خاص يدعى (الرسته أو السفيفة) وهى منطقة تشد على الوسط . ثم يتلو سبع قراءات يمجّد فيها الرب ويدعوه بأسمائه الحسنى ويستمد منه العفو والشفاء من الأمراض ورفع الكوارث عن قومه وطلب الاتصال بعالم الأنوار .

وترى الصابئة ان فرض الصلاة كان أولاً على آدم أبى البشر بسبعة فروض يصلى منها خمسة فى الأوقات التى يؤدى فيها المسلمون صلاتهم واثنان فى غير هذه الأوقات . إلا أن شريعة آدم قد استمرت الى أن جاء يحيى (ع) فذسخها بشريعته وجعل الصلاة ثلاثة فروض فى ثلاثة أوقات كما هى اليوم عندهم .

هذه هى صلاتهم فى الوقت الحاضر . وقد ذكر ابن النديم فى فهرسته ، نوعاً من الصلاة كان يدين بها الحرايون الذين ذكرنا أمرهم فيما مرّ وفيها شيء من الاختلاف عما تقدم . اذ ذكر (ان المفترض عليهم من الصلاة فى كل يوم ثلاث أولها قبل طلوع الشمس بنصف ساعة أو أقل لتتقضى مع طلوع الشمس وهى ثمان ركعات وثلاث سجّادات فى كل ركعة . وثانيها يكون انقضاؤها مع زوال الشمس وهى خمس ركعات وثلاث سجّادات فى كل ركعة . وثالثها مثل الثانية يكون انقضاؤها بعد غروب الشمس . وانما ألزمت هذه الأوقات لمواضع الأوتاد الثلاثة وهى ؛ وتد

المشرق ووتد المغرب ووتد السماء . ولهم أيضاً صلاة نوافل بمنزلة الوتر وهى ثلاث فى كل يوم . الأولى فى الساعة الثانية من النهار والثانية فى الساعة التاسعة منه ، والثالثة فى الساعة الثالثة من الليل ولا تكون الصلاة الا على طهور) اهـ .

الزواج عندهم

يجوز للصائى أن يتزوج من النساء ما طاب له ، مثنى وثلاث ورباع متى تعهد بالمساواة بين زوجاته مساواة فعلية . وكما ان تعدد الزوجات جائز عندهم ، كذلك الطلاق عندهم فانه مشروع الا انهم يشترطون فيه الحجة البينة على ثبوت أسباب الطلاق وتتلخص هذه الأسباب فى أربعة أمور وهى : —

١ — ثبوت الزنا ٢ — عدم الاغتسال من الحيض

٣ — ترك الصلاة ٤ — السرقة

أما تنفيذ الطلاق فيشترطون فيه أن لا يكون على أيدي رؤسائهم الدينيين ، بل يرسل من أراد الطلاق الى المحاكم الشرعية الاسلامية لتبت فيه حتى إذا أراد الرجل أن يعيد النكاح على زوجته المطلقة ، استطاع ذلك بواسطة رجالهم الدينيين .

مراسم الزواج

وللزواج مراسم مخصوصة وتعميد مقرر يجرى على أيدي رؤساء الدين بأوضاع خاصة تبدأ بارسال نسوة الى الخطيبة لتأكد

من أنها لا تزال بكرًا لأن العقد على الثيب ينجس الكاهن الذى يتولى العقد فتعذر عليه الطهارة .

ولما كان الماء أساس الحياة فى نظرهم ، فلا بد من اجراء مراسم الزواج فى وسطه ، وهى ما يصطلحون عليها بالتعميد . وكيفية ذلك أن يأتى أحد كهنتهم من درجة (كنزوره) مع مساعدين له من درجة (ترميده) - أى تلميذ - فيدخل الجميع مع الزوجة فى الماء الجارى فيرتسمون فيه ثلاث مرات ثم تخرج الزوجة وفى يدها مصباح للدلالة على أنها (عروس) لا يجوز لمسها لأن لمس العروسين خلال السبعة الأيام الأولى من العرس ، ينجسهما ويخاق لهما مشكاة دينية يصعب عليهما اتقاء شرها .

وتذهب العروس الى بيتها فيقرأ عليها الكاهن دعاء خاصاً ثم يعود بها الى الماء فيعمدها ثانية كما عمدها أولاً . فاذا أتم التعميد الأخير أرسلها الى غرفة عرسها حيث تجلس على (كالة) - سرير العرس - تنتظر مجيء زوجها اليها

أما الزوج فيعمد كما تعمد الزوجة لأن الواجبات الدينية على الذكر والأنثى سواء فى نظرهم .

فاذا تم تطهير وتعميد الزوج ، يحضر مع وكيل للزوجة وجماعة من الأقارب والأصدقاء ورؤساء الدين المعلومين فى عريش من قصب وتوزع على الحاضرين أرغفة من الخبز الرقيق ليأكلوه

كناموس للزواج . فان لم يأكلوه ، يعطى اما للفقراء أو يلقى في الماء الجارى .

ثم يتقدم الكاهن الذى قام براسم التعميد ، فيلبس رداء خاصاً ويلبس العروسان ألبسة خاصة ويلقن وكيل الزوجة صيغة العقد التى تستمر قراءتها زهاء ثلاث ساعات . فاذا تم التلقين المذكور ، تخلع تلك الألبسة الخاصة وتستبدل بألبسة العرس .

وحرام على العروسين وعلى جميع أفراد الطائفة ارتداء اللون الأزرق فى كل حال كما هو الحال عند اليزيدية (عبدة الشيطان) ثم يأخذ الكاهن الزوج الى الزوجة ويلصق ظهره بظهرها ويأمر الزوجة بأن تقابله وتنطح رأسه ثلاث مرات ولكن برفق تتلى خلالها أدعية خاصة . ثم يكسر كوزين معدن لهذه الغاية وينصرف الحضور حيث يكون فى استطاعة الزوج مواقعة زوجته فى السلة التى يختارها له .

أما المهر فيفرض على الزوج مقدماً ومؤخراً ويجوز أخذه فى وقت واحد . ولا تكاد تختلف بقية العادات الموجودة عندهم فى الزواج عما هى عليه عند المسامين .

العدة والحيض والنفاس

أقل مدة الحيض عند الصابئة ثلاثة أيام ، وأكثرها سبعة وأما مدة النفاس عندهم فهي ٣٠ يوماً فلا تحل للزوج . واقعة

زوجته في بحر هذه المدة حتى ولو طهرت قبل انقضائها . وبعد
انقضاء مدة الحيض، تذهب الزوجة الى الماء الجاري بجميع ألبستها
فترتمس فيه ثلاث مرات . أما النفساء فتعمل هذا الارتماس بألبستها
بعد مضي الأسبوع الأول على النفاس على أن تجددّه بعد انقضاء
الثلاثين يوماً وهي مدة النفاس القانونية كما تقدم .

وكما لا يجوز للحائض أن تلمس أي شيء في خلال مدة
الحيض ، كذلك لا يجوز للنفساء أن تخلط أو تجتمع بأي أحد
ولا أن تطبخ شيئاً في بيتها ولا أن تقوم بأية خدمة بيتية . ومن
عمل ذلك عمداً كان أم سهواً ، نجس ووجب تعميده .

الاعتراف عند الصابئة

تقضى العادة الدينية عند المسيحيين أنه اذا أذنب أحدهم ،
يعتطيع أن يكفر عن ذنبه باعترافه أمام الكاهن المختص . وباستطاعة
الكاهن أن يكفر له خطاياه بأن يقول له (احلك من إثمك باسم
يسوع الاله الذي أعطاني القوة لهذه الغاية . . .) ويضع عليه
شروطاً يشترط عليه تنفيذها فاذا أتمها ، غفرت له خطاياه .

وعند الصابئة أيضاً نوع من الاعتراف والغفران يشبه
ما هو مقرر وموجود عند النصارى ولكنه يكون بصورة سرية
جداً أشد مما هي عند النصارى . وكيفية ذلك انهم يعجنون قليلاً
من البرّ بلا ملح ولا خمير ويجملونه رقاقاً في أرق ما يستطيع

ويخبزونه في تنور جديد ، ثم يقطعونه قطعاً مستديرة يقدسها كهنتهم ، فإذا تم تقديسها ، كانت كأنها خبزاً سماوياً كالذي يقتات منه سكان عالم الأنوار .

وتقدم هذه الأقراص لأفراد الطائفة في أيام الأعياد حيث يتعمدون قبل تناولها وهي لا تعطى إلا لمن كان حسن السمعة مشهوراً بالصلاح . أما فائدتها فيقولون إنها تجدد تطهير النفس بحيث أن الشخص إذا أثم بعد تناولها ، كان عقابه عشرة أضعاف ما لو أثم دونها .

كهنة الصابئة ودرجاتهم ووظائفهم

لكل أمة من الأمم درجة خاصة تمتاز بكونها ذات مكانة مقدسة وبكونها تشرف على شؤون الأمة الدينية . وتتبع هذه الطبقة في كثير من تصرفاتها وأوضاعها قوانين الدين ومراسيمه الخاصة وقد تسمع لها السلطات المدنية في كثير من الأمم بالاستقلال ببعض شؤونها واتباع أنظمتها الخاصة . وبنسبة رقي الأمم وانحطاطها ، تكون أنظمتها الخاصة شديدة وخفيفة إلى هذه الطبقة . ففي الأمم المتعدنة ، تقتصر وظائف هذه الطبقة على إقامة مراسم الدين ضمن المعابد والهياكل . وتنحصر واجبات الجمهور نحوهم بالاحترام والتقديس . أما في الأمم المنحطة ، فتكاد تكون كل حركة من حركات الناس متوقفة على الإذن والرخصة من قبل

رجال الدين . ويكاد يكون سلطان الدين فيها سلطاناً لا يزاحمه غيره .
والصابئة من الأمم التي تحكمت فيها السلطات الدينية
وجعلت كلمتها هي النافذة في جميع شؤون الطائفة . فالزواج والجناس
والولادة والتسمية والذبح والصلاة كل ذلك لا يتم إلا على أيدي
رجال الدين عندهم .

وينقسم هؤلاء الرجال الدينيون بحسب رتبهم إلى خمسة
أقسام يستطيع المتعمي اليها أن يتدرج فيها حسب الأصول إذا
توفرت فيه الشروط المطلوبة وهذه الأقسام هي : —

١ — (الحلالى) : يشترط لمن أراد الانخراط فى سلك هذه
الوظيفة أن يكون سالم الجسم من كل العيوب الخلقية صحيح الحواس
قد تمتعت عائلته بهذه الصفات منذ ثلاثة أشهر وان لا تكون أمه
ثيب حينما تزوجها أبوه إلى سبعة أشهر .

أما العلوم التى يتناولها ، فتقتصر على كتب الدين الابتدائية
بعد اجراء مراسم التعميد الخاص بهذه الدرجة .

وتنحصر وظيفة الحلالى فى اقامة مراسم الذبح للعامة ، وكيفية
ذلك أن يحضر مقداراً من القصب والبردى والحلفاء وينظفها
فى الماء ثم يطهر الذبيحة فى الماء الجارى ويطرحها على القصب
ويتلو عليها أذكارة خاصة ثم يبدأ بذبحها ولا يصح لأحد أن يمسه
لأنها تنجس باللمس .

أما ذبح الدجاج، فيختلف بكونه لا يصح فيه أن توضع الذبيحة حال ذبحها وبعده على الأرض، إنما تذبح بيد الحلالي وتوضع في القدر لمعدّ لطبخها مباشرة لأن وضعها على الأرض ينجسها .
وكما أنه لا يجوز للصابئة ذبح الذبيحة المصابة بأحدى العاهات، كذلك لا يجوز لهم ذبح الدجاجة العوراء أو المصابة بأحدى العلل .
وعلى كل يشترط حضور شاهد يلبس لباساً خاصاً في جميع أحوال الذبح .

ولا يجوز الذبح ليلاً إلا في أحد أعيادهم المسمى بالعيد الخامس (عيد پنجه) حيث يتساوى فيه الليل والنهار ويستمر خمسة أيام واسمه من لفظه الفارسي (اى خمسة)

٢ — الترميدة (أى تلميذ) : يتدرج الحلالي إلى درجة ترميدة بعد أن يجرى المراسم الخاصة لهذا التدرج وذلك بأن يتعمد بالارتعاش في الماء الجاري المتصل بيئر نابذة ، وأن يحضر مجلسه بعد خروجه ، طبقة من الكهنة من درجة مماثلة للدرجة التي يريد الانخراط في ساكنها ومن درجة كنزوره . فيمكث معهم سبعة أيام كاملات لا تنمض له عين فيها خشية أن يتطرق إليه الشيطان فيحتلم ويفسد عليه عمله لأن الاحتلام عندهم ، دليل على عدم كفاءة الرجل الحلالي إلى هذه الدرجة . ولهذا السبب نراه يضطر إلى الاكثار من تلاوة الكتب والأدعية وإقامة الولائم والأفراح

ودق الطبول والأبواق حتى تنتهى المدة المذكورة . فاذا أتمها كاملة الشروط، أصبح (ترميده) وجاز له أن يعقد على المرأة الثيب فتتخصص وظيفته فى العقد على الثيبات ويحرم عندئذ من الارتقاء إلى درجة (كَنزوره) ولا يمارس أعمال دينية غير العقد المذكور ويسمى (أبو يسقى) أو (كَنزوره من الدرجة الثانية) .

٣ — الكَنزوره : لابد للترميده الذى يريد أن يرتقى إلى درجة (كَنزوره) أن يكون متزوجاً وغير عقيم . فاذا لم تكن له زوجة وذرية ، فلا يصح له أن يكون (كَنزوره) وإذا ارتقى إلى الدرجة المطلوبة، وجب عليه الانقطاع عن موازنة زوجته حتى يعقد مهراً لعالم من درجة (ترميده) وعندئذ تباح له الموازنة المذكورة . ويشترط فيه أيضاً أن لا يكون قد عقد على ثيب ما لأن العقد على الثيب من اختصاص الترميدة كما أسلفنا .

أما المراسيم التى يجب عليه أن يجريها لذلك ، فهى عبارة عن إقامة عريش من قصب على بئر متصلة بماء جار يتعمد فيها بمشهد رجلين من الدرجة التى يسعى إليها واثنين آخرين من درجته الأصلية (أى ترميده) فاذا أتم هذه المراسم ، أصبح (كَنزوره) وفى طائفة الصابئة اليوم لا يوجد أكثر من عدد محدود لا يتجاوز السبعة من هذه الدرجة فقط أما الدرجتان الرابعة والخامسة فلم يبلغ إليها أحد فى هذا العصر لعدم توفر الشروط المطلوبة لهما .

ومعنى كَنزوره ، مفسر كتاب (الكَنزه) — أحد كتب الصابئة المقدسة — أو صاحب الحق في تفسير هذا الكتاب .
٤ — الارشمه : ومعناه رئيس الأمة وصاحب الكلمة النافذة ولا يوجد اليوم في الصابئة من بلغ هذه الدرجة بعد

ويشترط للكنزوره الذي يريد الارتقاء إلى هذا المقام، أن يكون شخصاً ذا أهلية وكفاءة تجعله جديرًا بهذا المنصب الخطير .
أما المراسم التي يجريها ، فلا تختلف عن مراسم الترميده الذي يتدرج إلى درجة الكنزوره إلا في عدد الأشخاص الذين يحضرون إقامة المراسم من طبقته ومن الطبقة التي يرتقي إليها . فانه يشترط أن يكون عددهم سبعة وأن يكون السبعة الذين من طبقته قد لستفادوا من علمه (وتلاميذوا) عليه .

٥ — الربانى : بعين الشروط التي يجتاز بها الكنزوره إلى درجة (أرشمه) ، يرتقي (الأرشمه) إلى درجة (ربانى) إلا أنه يختلف بعدد الشهود الذين يحضرون تعميده . فانه يشترط أن يحضر إقامة المراسم سبعة أشخاص من الطبقات الثلاث (الترميده والكنزوره والأرشمه) وتلى عند إقامة هذه المراسم أذكاراً وأدعية خاصة من قبل الشهود المذكورين في أيام معينة العدد . فاذا ارتقى العالم إلى هذه الدرجة ، يرتفع إلى عالم الأنوار (آلمى دهورو) .

ولم ينل هذه المرتبة من السابقين حتى الآن إلا يحيى (ع)

المسمى في لغتهم المندائية (يهيه بهانه) كما انه لا يجوز وجود شخصين من هذه الدرجة في عصر واحد .

طعام الكهنة وبعض وظائفهم

لا يجوز للكهنة الصابئي أن يأكل من دار غير داره ولا من يد امرأة غير معمة انما يختص بزوجته التي عمدها هو واعتمد على معرفتها براسم الطعام والفسيل واحضار ماء الشرب، فتتولى هي احضار طعامه وشرابه وسائر ما يحتاج اليه براسم خاصة . فاذا لم تكن عنده زوجة، فيتولى هو بنفسه إعداد الطعام والشراب لنفسه .

وقد حضر الشيخ دخیل ذات يوم عندنا في الدار « وهو من رؤساء هذه الطائفة » فامتنع عن تناول الطعام والشراب رغم حاجته الى الماء . ومن غريب ما ذكره لنا انه في حالة تناوله طعامه في بيته، يضع على صدره منديلاً خاصاً فاذا سقط طعام على غير ذلك المندیل ، حدثت له مشكلة مهمة يتعذر عليه الخروج منها .

وللعلماء ذبح خاص يختلف عن ذبح العامة ويتولونه بأنفسهم بأوضاع مخصوصة وآداب متوارثة ، وهم يتولون — حسب درجاتهم — تعميد أفراد طائفتهم وتعليمهم الأمور الدينية والعقد على الأبنكار دون الثيبات .

التعميد واقسامه عند الصابئة

التعميد عبارة عن اجراء مراسم خاصة يكتسب بها الشيء المعمد صفة دينية مقدسة . فاذا تعمد الطعام أو الطفل ، اكتسب صفة خاصة تؤهله للقيام بوظيفة دينية .

فالطعام مثلاً يحل بعد التعميد ، والطفل يطهر به ، والمذنب يكتسب بواسطته الغفران ، فهذه الصفات الجديدة انما اكتسبها الأشخاص واتصفت بها الأشياء بواسطة التعميد .

وتكاد تنحصر طرق التعميد عند الصابئة (وهم يسمونه مَصُونًا) في أربعة أنواع وهى : —

١ — عماد الزواج : وهو عبارة عن المراسم التى تقام للعروسين عند عقد الزواج وقد شرحنا ذلك فيما تقدم .

٢ — عماد الولادة : ونقصد به ما يصبح به الطفل طاهرًا . فاذا رزق أحدهم مولوداً ، وجب عليه أن يخبر الكاهن به ليعين له الزمان والمكان والنجم والطالع والبرج والمنزلة التى ولد فيها ، ويثبت له مع مقارنة هذه الأشياء وبعد اختبار الطالع ، اسماً يدل عليه برجه ومنزلته السماوية . ويكون هذا الاسم محفوظاً للمولود . وبلغتهم المندائية الخاصة — ثم يضعون له بجانب هذا الاسم ،

اسماً آخر تقتضيه البيئـة التي يعيشون فيها، ففي البلاد العربية يسمونه باسم عربي وبغيرها من البلدان يسمونه بأسماء سكان تلك البلدان .
فاذا مرّ على المولود أربعون يوماً^(١) وجب أن يعمد بتعميد الولادة. وكيفية ذلك أن يذهب به إلى كاهن من درجة كنزوره مع شخصين من درجة ترميده (أى التلميذ) وبعد أن يرتدى الكهنة حلتهم الكهنوتية المسماة (رسته) ويأخذ رئيسهم (الكنزوره) عصا خاصة (تدعى مركّنه) ، ينطلقون إلى الماء الجاري ، فيجلس الرئيس بين تلاميذه على حافة النهر ويتلو على رأس الطفل أذكاراً خاصة وينزل في النهر ، فيشرع يغرف الماء بيده ويصبه على المولود ثلاث مرات وهو يتلو في كل حركاته أدعية مقررّة، ثم يضع في أصبع المتعمد خاتماً من عود الآس ويخرج بعد ذلك من النهر بعد أن ينتزع الخاتم من أصبع المولود ويضعه على جبهته .

ثم يتناول بيده اليمنى مقداراً معيناً من البخور يلقيه في نار معدّة لذلك ويتلو أثناء اشتعال البخور أدعية خاصة، ثم يتناول عشر حبات من حب السمسم المقلي الموضوع في كيس خاص فيصب عليها قليل من الماء يغترفه بيده من النهر بعد خروجه ، وبعد أن يلتها بأنامل يده اليمنى ، يضعه على جبين الطفل ثلاث مرات يقول

(١) لا يجوز تعميد الطفل قبل خروجه من الأربعين ولا بعد مرور شهرين على ولادته ولا في أيام الأعياد مطلقاً ويستحب تعميده في أيام الأحاد

في أثنائها مامعناه (لقد وُسِّمت بِسمة الحياة واسم الحياة واسم معرفة الحياة مذكوران عليك) .

ثم يصلى عليه صلاة طويلة يصبح بعدها الطفل معمداً، ثم يرفع الكاهن الخاتم عن جبهة الطفل ويضعه على شفتيه ثم يرميه في الماء، وبهذا ينتهى التعميد وينصرف المحتفلون بتعميده .

٣- عماد الجنابة : ينجس الصابئ بالجنابة ، وتحتاج طهارته إلى تعميد في ماء جارٍ سواء أكان الوقت قيظاً أم شتاءً وبمراسم خاصة يعقبها وضوء كما مر بنا في بحث الطهارة والصلاة .

والصابئ ؛ يحجب إذ لمس الميت أو المولود أو الحائض أو النفساء أو دم الحيوان المذبح على غير شريعتهم أو إذا نهشته الحية أو لسعته العقرب أو غيرها من الهوام .

٤- عماد الجماعة : فرض على الصابئ أن يتعمد في كل عيد (بنجه) من كل سنة ويقام هذا العيد في خمسة أيام بين شهرى كانون الثانى وشباط من كل عام، وينسب كل يوم من أيام هذا العيد إلى شخص من أشخاصهم التاريخيين ، فيلبس الصابئ في هذا العيد ألبسة بيضاء ويمشى حافي القدمين ويرتس كل منهم في الشط قبل تناول الطعام ويدهن شعره بدهن السمسم .

والتعميد في هذا العيد يشمل الرجال والنساء على حد سواء

والقصد منه التكفير عن الذنوب بزيارة الكنائس المقدسة
والارتعاس في الماء .

اعیاد الصابئة

تقسم السنة عند الصابئة إلى ٣٦٠ يوماً وإلى ١٢ شهراً في كل
شهر ثلاثون يوماً . وأول السنة عندهم نيسان وتليه الشهور على
الترتيب بأسماء تختلف قليلاً عن أسماء الشهور الرومية .

أما بدء التاريخ عندهم، فينقسم إلى ثلاثة أقسام : فبدء الخليقة وهبوط
آدم، أول تاريخ تضبط به السنين عندهم . ويليه عام الطوفان الذي
يعتبر الآن تاريخاً لتحديد السنين . ثم ولادة يحيى (ع) التي
لا تفرق في المدة عن ولادة المسيح (ع) إلا بستة أشهر، لذلك فهم
يتفقون في بداية تاريخهم الأخير مع التاريخ الميلادي .

أما التاريخ الهجري، فهم يعتقدون بصحته أيضاً ويستعملونه
في كثير من معاملاتهم الدينية والرسمية لأن ظهور النبي محمد
(ص) كان منصوباً عليه في كتبهم المقدسة وهو بداية الدور
الأخير الذي يحتاج إلى اصلاح .

وهم يقدسون يوم الأحد كالنصارى ويعطلون فيه اشغالهم لانهم
يعتقدون بنزول (موشيه) أحد ال ٣٦٠ قديساً السماويين من عالم
الأنوار (آلي دنهورو) إلى الأرض لته مبدء أهل (مشوني كسطه)

ولذا فهم يسمون هذا اليوم باسم القديس السماوى . أما بقية أعيادهم الرسمية فهي : —

١ — عيد الكبير ويسمونه (دهور ربّه) أى عيد ملك الأنوار ومدته ٣٦ ساعة تبتدىء باليوم التاسع من شهر آغستوس ويشترط فيه أن يلزم الصابئي ييته وأن يذخر فيه ماءً يكفيه لأيام هذا العيد لأن ملك الماء مع سائر الملائكة الأرضيين ، يمرجون إلى عالم الأنوار للاحتفال بهذا العيد فيستغرق صعودهم ١٢ ساعة وبقاؤهم في عالم الأنوار ١٢ ساعة وهبوطهم ١٢ ساعة وهم يعتبرون هذا العيد، اليوم الذي غفرت فيه خطايا آدم وتكلم فيه بألفاظه القوية ويراجع العلماء في مثل هذا اليوم ، كتب الطالع المقدسة ليستكشفوا حوادث السنة وما يقع فيها . ولهم فيه عادة تكاد تكون موجودة عند جميع الأمم التي تحتفل بعيد (النوروز) وهي وضع الفواكه الطرية واليابسة في طبق طيلة ليلة العيد حتى إذا ما أصبحوا ، تناولوه . ويسهر كل صابئي في هذا العيد خشية أن يحتمل .

٢ — عيد الپنجه ويسمونه (دهور پرونايا) ويستغرق خمسة أيام كما تدل عليه اللفظة الفارسية . وهي الخمسة الأيام التي تكبس بها السنة لأن أشهرهم ثلاثون يوماً . ويقع بين الشهرين الثامن والتاسع من سنتهم^(١)

(١) تبتدىء سنتهم بشهر نيسان كما تقدم

وكل يوم من أيام هذا العيد، مخصوص بشخص من الـ ٣٦٠ قد يساً
ويتعمد العامة في هذه الأيام ويقدمون فيه الضحايا وهو بعد عيد
الصغير بـ ١٣٢ يوماً وفيه تقام الكنائس المحدثه التي تنشأ عادة
من حزم القصب على شواطئ الأنهر ويكون لها نافذتان مع
باب تقابل جهة الجنوب ليستقبل الداخل فيها نجم القطب القائم
تحت العرش الرباني .

٣ — عيد الصغير وهو العيد الذي جدد فيه جبرائيل الأرض
بعد أن كانت سائلة باسم الآله ومدته ثلاثة أيام تقع بعد العيد الكبير
بـ ١٠٨ أيام وتقدم فيه القرابين للموتى وتعمل فيه أعمال البر لهم
ويبتدى هذا العيد في اليوم الثامن عشر من شهر ايار الصابئي
وينتهي في ٢١ منه .

كتب الصابئة المقدسة

الكتب المقدسة، هي المصادر الوحيدة لأديان العالم. ولا توجد
اليوم أمة لا تستمد ديانتها من كتب تعتقد بصورها من مصدر
سماوي، وحتى الأمم المتوحشة فانها تسند أساطيرها وطقوسها
إلى مصدر روحي وراء هذا العالم المنظور . وتجتهد هذه الأمم
في أن تجعل هذه الكتب صادرة من واسطة التبليغ مباشرة بل
قد يترقى البعض منها فيجعل هذه الكتب منزلة بمنجموعها من
السماء كما تدعيه الصابئة في صحف آدم المفقودة، أو كما تدعيه اليهود

فى توراتهم قبل النبى . وقد يكون هذا الدافع طبيعى لتقوية الاعتقاد
وبناء الايمان على أساس متين .

وقد سعت المجامع التى عقدتها الأمة النصرانية فى القرون
الوسطى إلى تصحيح الأناجيل وإلى محو المشتبه فيه كما حصل مثل
هذا التصحيح للقرآن فى صدر الاسلام حينما أمر عثمان (رض)
بمحو ما لم يكتب بلغة قريش . وهكذا نجد الأمم على اختلافها
تعتقد بأن كتبها هى المصدر المفيد لليقين بتكاليفها والواسطة التى
تدين بها لمعبودها .

ويرى الصابئة زيادة على ماتراه الأمم الأخرى ، ان كتبهم
المقدسة قد توارثوها بصورها الموجودة لديهم عن آدم أبى البشر
فابراهيم الخليل موسى فيوحنا المعمدان ، وهم يعترفون بأن معظم
هذه الكتب قد تلف بالرغم من حرصهم على الاحتفاظ بها إلا انهم
لا يشكون فى أن صورة الموجود منها طبق الصورة الأصلية المنزلة
وان التطورات التاريخية لم تؤثر عليها من هذه الناحية لافى اللغة
ولا فى الترتيب وقد يكون هذا الشئ مستبعد .

وأهم الكتب التى بقيت فى أيديهم حتى الآن هى :-

١ - كتاب (الكنز اربتا) أو (السدرا دادم) أى الكتاب

العظيم أو الكتاب المنزل على آدم (عليه السلام) وهو مطبوع
على حجر فى لايبسك بالمانيا وتختلف الصابئة فى تاريخه فمنهم من

يقول بأن تاريخه يرتقى إلى ما قبل النصرانية ومنهم من ذهب إلى أنه من عهد يوحنا المعمدان ولا يكاد تاريخه يعرف بالضبط. وتنحصر مباحثه في ذكر بدء الخليقة والتطورات التي حدثت للبشر.

٢ — كتاب (أدرافشه ديهى) أى تعاليم يحيى وهو أحدث تاريخاً من الأول ويتضمن حياة النبي يحيى (ع) وأرشاداته وتعاليمه الدينية. فيكاد والحالة هذه، يشبه الأناجيل الموجودة فى أيدي النصارى وفيه أيضاً بحث فى النجوم والكواكب يستعينون به على استخراج الطالع والقال .

٣ — (القلستا) أى كتاب الفرح وهو خاص بالبحث عن مراسيم الزواج والاحتفالات التى تقام أثناء العقد وعن كيفية تحليل النكاح الشرعى وأجراء الخطبة .

٤ — (سدرادنشمانا) أى كتاب النفوس وموضوعه البحث فى مراسيم الجناز وتلقين الأموات وكيفية دفنهم وأسباب تحريم البكاء والحداد عليهم وما إلى ذلك مما يتعلق بالموت والمعاد .

٥ — (الديونان) وهو سفر ضخيم تذكر فيه قصص بعض الروحانيين وسيرهم مع صورهم وهو من أنفس كتب الصابئة التى تعين المتبع لديانتهم على الوقوف على أهم ما يتطلبه الباحث .

٦ — (أسفر ملواشى) أو (أسفر ملواشا) ومعناه سفر البروج الذى يتمكنون بواسطته من معرفة البرج الذى ولد فيه الشخص .

فيستنبطون منه اسمه المقدس الذي يبقى محفوظاً لديهم ويعينون به طالع المولود .

٧ - (الايتاني) أى الأناشيد أو الأذكار الدينية التى تتلى فى الصلاة وهو كتاب خطى قديم، شاهدت نسخة قديمة منه على رق غزال .

ولهم عدا ماتقدم ، عدة كتب تتعلق بطقوسهم وآدابهم ومعايدهم وسائر سننهم الاجتماعية وهم حريصون جداً على هذه الكتب ولا يكاد الانسان يستطيع الوقوف على أحدها إلا بشق الأنفس لأنهم يرون ان اطلاع الغير على كتبهم، أمر محرم يؤثم عليه الفاعل .

عدد الصابئة ومنازلهم

ان شرط الانتماء إلى دين الصابئة وما يتطلبه من مراسم تقبله، هو السبب الذى جعلهم محصورين فى العدد آخذين فى التناقص وقد لا يمر قرن عليهم إلا وهم منقرضون من سفر الوجود أضف إلى ذلك ان حالتهم الاجتماعية وعادات الزواج عندهم تمنعهم من التوسع والانتشار ، فلا يستطيع غير الصابئي أن يكون صابئياً ، ولا يحل للصابئي أن يتزوج بغير صابئية ولا يزيد عدد الموجود منهم الآن على ٣٠٠ نسمة إلا أن الشيخ دخيل ذكر لنا ان عددهم يوجب على الـ ١٠٠٠٠ نسمة وأمر ذلك موكول إلى الاحصاء الرسمى.

وقد كانوا في أيام الخلفاء العباسيين منتشرين في كثير من بلدان الشرق التي تقع على الأنهر. وكان لهم مركز دعاية في حرّان^(١) أما اليوم فقد أصبحوا محصورين في أماكن معينة من العراق وفي بلاد عربستان. ومعظم منازلهم بل كلها واقع على شواطئ الأنهر لأن طقوسهم وعاداتهم الدينية لا تتم إلا بالارتماض في الماء الجاري كما أسلفنا. وقد حدثت في الأيام الأخيرة عدة حوادث أفنت الكثير منهم وقضت على عدد من كتبهم المقدسة ولا سيما في أيام الاقطاعات في العراق وعربستان. وقد قصّ علينا الشيخ دخيل المومى اليه عدة حوادث عن اضطهاد الصابئة لم تثبتها هنا لفقدان تاريخها بالضبط.

وأهم البلدان التي يقطنونها في الوقت الحاضر هي: العمارة والعزير (بالتصغير) وقلعة صالح والشرش ونهر صالح وكرمة بنى سعيد والجبائش والحمار « بتشديد الراء » وسوق الشيوخ والناصرية والبصرة والحمرّة وششترو ودسبول وغيرها وقد توطن بعضهم ببغداد بعد الاحتلال البريطاني ونزح فريق آخر إلى طهران طلباً للرزق

(١) عن تقويم البلدان لأبي الفداء ص ٧٧ طبعة أوروبا « وكانت حران مدينة عظيمة وأما اليوم فخراب، قال في المشترك وحران مدينة مشهورة تعد من ديار مضر » بالضاد المعجمة « قال ابن حوقل وهي مدينة الصابئين وبها مدنها السبعة عشر وبها تل عليه مصلى للصابئين يعظمونه وينسب إلى إبراهيم وهي قليلة الماء والشجر... الخ »

وقد ذكر لنا الشيخ دخیل ان بعض أبناء الصابئة أخذت ساهل
فى أمر المراسم الدينية الأمر الذى قد يبيح لهم السكنى على غير
مجارى المياه . أما صناعتهم فهى على الأغلب صياغة الميناء .

صياغة الميناء

والميناء (بالكسر والمد) لفظ فارسى معناه صناعة جواهر
الزجاج وهو اسم لأ كاسيد معدنية تصهر بمادة زجاجية وتزين بها
الأواني الثمينة فتكسبها رونقاً وجمالاً .

وصناعة الميناء قديمة عرفها الطورانيون الأقدمون وتناقلها
عنهم المصريون والفينيقيون ثم انتقلت إلى الهند وفارس ثم إلى
البيزنطيين وقد انتشرت فى الشرق والغرب حتى بلغت أوج كمالها
فى نهاية القرن السادس عشر للميلاد .

وهى إما شفافة كالزجاج يخرقها النور وتحكى عما ورائها
. وإما كثيفة تزين بها سطوح الأجسام فتشبه الخزف الصينى . وكلا
النوعين يمتاز بكونه ذا ألوان متعددة وهى تستعمل لوجوه الساعات
التي تثبت عليها الأرقام .

أما طريقة عملها فتكون بسحق الأجزاء المطلوب مزجها
بكميات معينة كل على حدة سحقاً جيداً ثم توضع على النار فتصهر
إلى أن تسيل فى بودقة منقطاة أربع مرات ترفع فى كل مرة لتسكب

بالتدرّج في ماء حتى تتصلب الأجزاء فيسهل سحقها وتجري من وراء ذلك عملية التخطيط على الأجسام بالصور المطلوبة .

وقد تخصص القسم الأغلب من الصابئة بهذه الصناعة حتى أبدعوا فيها وأتقنوا فن نقل الصور بضبط ودقة . وتكاد هذه الصناعة تنحصر فيهم لأنهم حريصون على حفظ أسرارها .

ويعتبر البعض منهم صناعة السفن الصغيرة المسماة (الطراريذ) وهي السفن التي يكثر استعمالها في جنوبي العراق كما ان بعضهم يمتحن الحداثة وبيع الأخشاب وهم قليلون جداً .

الخاتمة

تبين مما تقدّم، أن الباحث لا يستطيع أن يصل بصورة قطعية إلى مبدأ الدين الصابئي وإلى التطورات التي طرأت عليه في القرون المتوسطة، وهل هؤلاء الذين يدعون أنهم صابئة هم الصابئة الأقدمون الذين ذكروهم القرآن ونوّه عنهم مؤرخو القرون الوسطى ؟ أو أنهم طائفة أخرى انتحلت هذا الاسم كما يدعيه (هنري يونيون) في كتابه (الرقم المندائية) ؟ إلا اننا نستطيع أن نجزم بأن في كثير من تعاليمهم وطقوسهم الدينية ، الشيء الكثير من تعاليم الدين الصابئي القديم وان كنا نجهل طرق توصلهم إلى تلك الطقوس . أما الكتب الموجودة بأيديهم ، فهي مع قدمها ، لا تكاد تفيد .

اليقين بأنها كتب النصابئة الأقدمين أو أنها باقية من قبل الطوفان أو بعده أو من زمن يوحنا المعمدان بأيدي هذه الطائفة .

ولا شك في أن ماسطرناه نقلنا عن الكتب التاريخية واستناداً إلى ما كتبه البعض وقصه علينا رئيس الطائفة الشيخ دخیل، الكفاية لمن أراد أن يدرس حياة وأحوال هذه الطائفة الغريبة في أشكالها وسحنة وجوه أبنائها والتي تشرف اليوم على الانقراض وقد تصبح في سجلات التاريخ بعد حين . م



اهم الكتب التى اعتمدنا عليها فى وضع هذه الرسالة.

- ١ — دائرة المعارف الانجليزية
- ٢ — الفهرست لابن النديم
- ٣ — دائرة المعارف الأفرنسية
- ٤ — الرقم المندائية (كتاب افرنسى)
- ٥ — مجلة المقتطف
- ٦ — كتاب ضخيم فى اللغة الألمانية
- ٧ — الملل والنحل للشهرستانى
- ٨ — تقويم البلدان لأبى الفداء
- ٩ — مجلة البيان لليازجى
- ١٠ — اغاثة اللهفان فى مصائد الشيطان
- ١١ — مروج الذهب للمسعودى
- ١٢ — مقدمة ابن خلدون
- ١٣ — القاموس المحيط للفيروز ابادى
- ١٤ — الملل والنحل لابن حزم
- ١٥ — مجلة المشرق لليسوغيين
- ١٦ — مندائى
- ١٧ — كتاب أبكار الأفكار للآمدى (خط) . . . الخ

مضامين الكتاب

الصفحة	الموضوع
	كلمة المؤلف
	المقدمة بقلم العلامة الكبير احمد زكي باشا
٥	الصابئة قديماً وحديثاً
٨	أدوار الديانة الصابئية
٨	الصابئة في الدور الأول
١٠	» » » الثاني
١٢	» » » الثالث
١٤	» » » الرابع
١٥	فرق الصابئة
١٦	الفرقة الأولى : أصحاب الروحانيات
١٧	الفرقة الثانية : أصحاب الهياكل
١٩	الفرقة الثالثة : أصحاب الأشخاص
٢٠	الفرقة الرابعة : الحلولية أو الحرانية (وهو الأصح)
٢١	الفرق بين فرق الصابئة
٢٢	الصابئة الحرانية
٢٥	صابئة البطائح
٢٧	عقائد الصابئة وطقوسهم الدينية
٢٨	فكرة الخالق وبدء الخليقة
٣٠	الكون في نظر الصابئة
٣٢	خلق آدم (ع)

الموضوع	الصفحة
فكرة الخير والشر	٣٣
الموت في نظر الصابئة	٣٣
ما بعد الموت	٣٦
المعاد	٣٨
الصوم عند الصابئة	٣٨
الصلاة عندهم	٣٩
الزواج عندهم	٤٣
مراسم الزواج	٤٣
العدّة والحيض والنفاس	٤٥
الاعتراف عند الصابئة	٤٦
كهنة الصابئة ودرجاتهم ووظائفهم	٤٧
طعام الكهنة وبعض وظائفهم	٥٢
التعميد وأقسامه عند الصابئة	٥٣
أعياد الصابئة	٥٦
كتب الصابئة المقدسة	٥٨
عدد الصابئة ومنازلهم	٦١
صياغة الميناء	٦٣
الخاتمة	٦٤
مصادر الرسالة	٦٦
مضامين الكتاب	٦٧

To: www.al-mostafa.com